بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٦١

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

صفر ١٤٣٧هـ — نوفمبر ٢٠١٥م

العدد السادس - المجلد الحادي والستون — November 2015

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9369336343 E-mail:nadwa@sancharnet.in

محتويات العدد

العدد السادس - المجلد الحادي والستون - صفر ١٤٣٧هـ - نوفمبر ٢٠١٥م

❖ الافتتاحية :

آثار من محنة المسلمين ، وسلطة الخائنين — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

❖ التوجيه الإسلامي :

الإمام البيهقي في " الزهد الكبير" — العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ٨

الإسلام رسالة خاتمة إلى الناس كافة — الشيخ الطاهر بدوي — ١٤

نظريات الترجمة الحديثة للقرآن الكريم — د . محمد شاهجهان الندوي — ٢٠

❖ الدعوة الإسلامية :

مولانا آزاد وبحثه القيم عن شخصية ذي القرنين .... — د . علي رضا — ٢٨

أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها ... قدوة لنساء العالمين — د . محمود حافظ عبد الرب مرزا — ٣٥

ثقافة الاعتذار من أخلاقيات المسلم — الأخ محمد علي الوافي — ٤٣

❖ الفقه الإسلامي :

قواعد وضوابط لترشيد الإنفاق والاستهلاك — الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي — ٥٢

❖ دراسات وأبحاث :

حيوانات جزيرة العرب ورياحها — العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٦٠

دور الفكر الديني في نشأة الحضارات الشرقية — الأخت عائشة البشير علي الأسطى — ٧٠

وليم مونتغمري وات وكتابه "Muhammad at Mecca" — د . محمد ثاقب الندوي — ٧٨

❖ صور وأوضاع :

إلى منهج جديد لعرض الإسلام وترشيد العمل الإسلامي — الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٣

❖ إلى الإسلام من جديد :

صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة — محمد فرمان الندوي — ٨٦

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١. الخير الكريم الحاج عبدالرزاق الرصاصي في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٨٧

٢. الشيخ محمد رياض الدين الفاروقي إلى رحمة الله تعالى — ٩٠

٣. الأستاذ طيب العثماني الندوي في ذمة الله تعالى — ٩٢

٤. الأمير نواف بن عبد العزيز آل سعود إلى رحمة الله تعالى — ٩٣

٥. الأمير راشد بن الشيخ محمد راشد المكتوم في ذمة الله تعالى — ٩٣

٦. والد الشيخ محمد خالد الندوي (الغازيفوري) في ذمة الله تعالى — ٩٤

٧. والدة الشيخ محمد إلياس البتكلي الندوي إلى رحمة الله تعالى — ٩٤

٨. الدكتور محمد غياث الدين الندوي في ذمة الله تعالى — ٩٥

٩. فضيلة الشيخ عبد السميع الندوي الجعفري إلى رحمة الله تعالى — ٩٦

١٠. والدة فضيلة الشيخ أصغر علي إمام مهدي السلفي إلى رحمة الله تعالى — ٩٧

١١. الشيخ عبد الرحيم البستوي في ذمة الله تعالى — ٩٨

١٢. الحاج مشتاق أحمد الرائ بريلوي في ذمة الله تعالى — ٩٨

١٣. حرم الشيخ امتياز أحمد الندوي في ذمة الله تعالى — ٩٩

١٤. والدة الدكتور سليم الرحمن الندوي إلى رحمة الله تعالى — ٩٩

١٥. فضيلة الشيخ شوكت علي إمام الجامع الكبير في ممباي في ذمة الله تعالى — ١٠٠

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

آثار من محنة المسلمين، وسلطة الخائنين

في عالمنا المعاصر اليوم تحركات ذات نشاطات فائضة بالوسائل والآليات ، وغنية بالعاملين المتحمسين الثائرين على القيم الخلقية القديمة التي تعيش في زوايا الخمول والرفض وظلام الجهل والأنانية ، وهم يبذلون محاولات جادة من خلال ما يتمكنون منه ، من الذخائر والأموال في تحقيق آمالهم ، وقد تزايدت قوة هذه الثورة مع المقاومة العسكرية التي قام بها مسلمو أفغانستان منذ عقود من السنين وفي عام ١٩٩٢م بالذات ضد الاحتلال الروسي الذي لم يسعه إزاء تلك المقاومة التي كان يغلب عليها لون الجهاد الإسلامي ، إلا أن ينزاح عن هذه الأرض التي ظلت بلاد المسلمين الغارقة في القدم ، اعترافاً بالانهزامية وفراراً بأرواح من بقي من جنودهم على قيد الحياة .

ومهما يكن انسحاب روسيا عن الأراضي الأفغانية مبعث طمأنينة لكبار زعماء الدول المادية في العالم في ذلك الوقت ، ولكنها لم تقتنع بأي اعتراف بما إذا كان الإسلام قوة لا تقهر ، وإنما زادت نشاطاً في محاربة الأمة المسلمة وقمع قوتها وإخراج هيبتها من قلوب شعبها ، والبلوغ بهذه الأمة إلى آخر ما يمكن من خنق إيمانها وطمس عقيدتها من قلوب أهلها ، وبالتالي استعبادها إلى آخر المدى ، وكانت تترقب الفرص منذ انقراض فلسفة الشيوعية وزوال سيطرتها في بلاد ما وراء النهرين ، لكي يتمكن من غسل العار والذلة التي عاشها " الشيوعيون " ولم يرفعوا رأساً من خلال الفشل الذي أذاقهم الخزي ، ومركب النقص الذي ألصقهم بالتراب ، ومع ذلك تحررت الولايات التي عاشت تحت سيطرة الشيوعية حياة الضغط والكبت إلى مدة سبعين عاماً يُعتبر فترة الشقاء وخلع لباس الإنسانية ، والتاريخ الإنساني خير شاهد على هذا التاريخ المسكين الذي شهد دور استعمار واستعباد للإنسانية الشقية ، ودور تحويل الإنسان إلى بهائم وأنعام ، وقد صدق عليهم قول الله تعالى : (أولئك كالأنعام بل هم أضل) وكانت نهاية الشيوعية البغيضة عيداً للناس الذين تنفسوا الصعداء ، وكان يوم خروجهم من سجن العذاب الأليم .

ومما يشاهد اليوم أن شيوعية روسيا أصبحت نشيطة ، وبدأت تساعد مجرمي الإنسانية والمسيطرين على رقاب الشعوب المسلمة في سوريا والعراق بكل وقاحة ، وهي لا تبالي بما داست به من الكرامات وسببت توسعة نطاق الدمار والقتل ، وسفك دماء الأبرياء من الأسر المسلمة العريقة وتشريدها من أرضها ووطنها إلى جهات مجهولة .

وفي تركيا توغل روسي خطير ندّد به الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ، ودعا الحكام الروس إلى التوقف الفوري من هجماتها ضد المعارضة السورية والمدنيين ، وأضاف قائلاً : إن هناك في سوريا حشداً عسكرياً كبيراً يتضمن نشر قوات برية وسفن حربية في شرق البحر المتوسط ، كما أن رئيس تركيا رجب طيب أردوغان كرر دعوته لحكام روسيا طالباً منهم التوقف عن انتهاك المجال الجوي التركي ، وأعلن أن روسيا ستخسر الصداقة التركية إذا استمر طيرانها الحربي في اختراق الأجواء التركية (الشرق الأوسط) ٢٠١٥/١٠/٧م .

من خلال هذه الاختراقات للقانون الدولي ضاقت على أهل سوريا والعراق أراضيهم بما رحبت ، فما لبثوا أن خرجوا من ديارهم وهاجروا دون أن يتأكدوا مصيرهم من الهجرة ورغم أنهم لم يبخلوا بإنفاق ما لديهم من النفوس والنفائس وتوجهوا إلى جهات متعددة في أوربا ، واجهوا ما واجهوا في أثناء ذلك من الجوع والعطش وشدة الظروف والهلاك والغرق في البحور بواسطة الزوارق المملوءة بالركاب ، والمحملة بأضعاف طاقة الحمل ، وقد ساعدتهم المملكة العربية السعودية والحكومة التركية ففُتحت أبوابهما للملايين من المهاجرين السوريين والعراقيين ممن سكنوا كالمدنيين لا كاللاجئين ، وأفادت الأنباء بأن عدداً من اللاجئين إلى الدول الأوربية ممن لم يُوفر لهم مكان يعيشون فيه بدأوا يتراجعون إلى بلادهم فإن لم يجدوا ملجأ أو مسكناً يتيهون في الأرض ولم يعد لهم مستقبل ! وذلك ما يجرح قلوب المسلمين في كل مكان ، والله هو المستعان .

زد على ذلك ما قد حدث في " أنقرة " من تفجيرين يوم السبت ١٢/ من شهر أكتوبر لعام ٢٠١٥م ضد التجمع الكبير الذي كانت نظمته المعارضة الموالية للأكراد من أجل السلام ، في محطة القطارات

الرئيسية، وللتنديد باستئناف النزاع بين أنقرة والمتمردين الأكراد، ونتيجة لذلك تحولت المنطقة إلى ساحة قتال ذهب ضحيته أكثر من مأة شخص، وعدد الجرحى أكثر من مأتي وخمسين جريحاً.

ولا ريب فيما إذا كان واقع هذين التفجيرين سبباً لإهدار الطاقات من كل نوع، وكان كذلك باعثاً على زيادة اللاجئين والمهاجرين، وأصبح شغلاً شاغلاً للحكومة وباعثاً كبيراً على الاهتمامات العالمية والدولية بالتخلص من الإرهاب الذي لا يزال متسع النطاق ومهدداً للأمن والسلام العالمي.

أفادت وكالة الأمم المتحدة للاجئين والمهاجرين بأن عدد المشردين في العالم اليوم يتجاوز ستين مليوناً من خلال المنازعات والحروب والإرهاب، ولا يزال هذا العدد في تزايد مستمر، إن أزمة العراق وسوريا متصل بعضها ببعض، وقد سببت تشريد ١٥/ مليوناً من سكان هذين البلدين، وكذلك كان عدد المشردين في جنوب السودان واليمن وليبيا فوق القياس، لا يمكن تحديده من الآن ما لم تنته الإجراءات الحربية، وأسفرت عن نتائج المصالحة بين الاتحاد العربي والحوثيين، ولكن يبدو أن تدخّل بعض الجهات الموالية للحوثيين وتزويدها إياهم بالآليات الحربية وكميات كبيرة من الأسلحة السريعة التأثير، سوف يحول دون التوصل إلى إيجاد جو من السلم والثقة والأمن في أقرب وقت، ويسبب تفاقم أزمة مشكلة اللاجئين، وترفض الدول الأوربية إيواءهم بطريق إيجابي وكقضية إنسانية، كما قد واجهت بريطانيا انتقاداً لاذعاً من خلال بعض المنظمات الثقافية ورجالات العلم والسياسة والدين، حول قضية قبول اللاجئين المهاجرين، وفسح المجال لهم في البلاد بتيسير نظام تأشيرة الدخول لهم على أساس إنساني ليس غير.

إن واقع اللاجئين والمهاجرين من أراضيهم إلى الأراضي الأخرى يبعث في النفوس تساؤلات كثيرة، ومن بينها: من المسئول عن هذه المصيبة الكبرى التي تتمثل في شكل مزعج مخيف، وتفرض على المرء أن يترك منزله وموطنه وأمتعته ومرافق حياته ويخرج إلى جهة لا يعرف مسيره إليها، ولا يدري ماذا سيكون مصيره ومصير أسرته التي استصحبها معه؟

أظن إنها تجربة – ولا أقول إنها أخيرة – ضمن التجارب التي أجريت لتشتيت شمل الأمة وتنفيرها من دين – كما يزعمون – لا يمنحها الاستقرار والنمو والازدهار ، ويعرّض صاحبه لأنواع من الخطر ولألوان من المحن والبلايا ، وقد سبق أن أدعياء الإنسانية وأعداء الأمن والهدوء قد اخترعوا أساليب شتى ، ومنها " الإسلاموفوبيا " تحقيقاً لمصالحهم الذاتية وتكذيباً لما وُعد به المسلمون من جوائز العز والسعادة في الدنيا ومن جنات و نعيم في الآخرة .

إن أمة الإسلام التي تتميز بالعدل والصدق والخير والنصح ونشر الحب ومعاني الإيثار والورع والنزاهة ، وهي أمة باقية إلى يوم الدين بصفاتها المتميزة ، ورسالتها الخالدة ، ووسطيتها المشهودة ، وسوف لا تحيد عن طريقها السليم المستقيم مهما كانت الظروف ، وقد أمر الله سبحانه عباده المسلمين باتباع صراطه المستقيم لكي لا يصيبهم خور ولا تفرق ، ولا ينال التفريق سبيلاً إلى وحدتهم الإيمانية ، وصفوفهم المتراصة ، فصرح الله سبحانه بذلك في كتابه العظيم وقال : (وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأنعام : ١٥٣) .

وكلما حادت الأمة الإسلامية عن صراط ربها المستقيم تفرقت بها الأهواء والأغراض الرخيصة ، ووقعت فريسة الظلم والنقمة من مناوئي الإسلام – وما أكثرهم – فلقبوها بما شاؤا من ألقاب خسيسة ، ومن أهونها " الإرهاب " الذي يعني أن الإسلام يعلم أتباعه الإرهاب بالمعنى الذي أرادوه وحاولوا بذلك إثبات أن معنى الإسلام إنما هو الإرهاب ، ولعلهم عنوا بذلك أن المعتنقين بهذا الدين واقفون بالمرصاد لكي يضيقوا الحياة على من ليس مسلماً ، ويباغتوه بأنواع من الفساد في الأرض ، ولعلهم يتوخون من خلال الإرهاب ، الإفساد في الأرض وإنهاء الأمن والرخاء والسلام ، واستعباد الناس الآخرين ممن ليسوا مسلمين ، فيتهمون الدين الإسلامي بدين الإرهاب والمسلمين بالإرهابيين ، وهم المساكين لا يعرفون أن الإسلام لا يكتفي باستقرار عقيدة فقط كالديانات الأخرى ، إنما يتقدم إلى الأمة بمنهج رباني واقعي وعملي في جميع شئون الحياة والكون، وكلما حالت دون تنفيذ هذا المنهج في الحياة والمجتمع قوة

أو سلطة فلا بد من الحيلولة دونها بإعدادات من القوة المادية وآليات المقاومة، حتى يتوقف امتداد تلك القوة أو السلطة التي تقيم سداً دون توحيد الله تعالى ، وتطبيق شريعته على جميع الشئون التي لا يستغني عنها الإنسان للعيش في هذه الدنيا في أمن وإيمان ، بربه تعالى والخضوع أمام كبريائه من خلال ذلك المنهج الطبيعي السماوي ، الذي أنزله الله تعالى لسعادة العالم البشري كله ، وبطريقة دائمة خالدة نامية .

ونحن لا ننكر أن هناك جماعة ممن يمثلون الإرهاب ضد الحكومات القائمة على مبدء العدل والمساواة والمواساة ، وإعلاء كلمة الله في الأرض ، وغرس عقيدة التوحيد في النفوس .

وإن زعماء جماعة الإرهاب اليوم يخلعون عليه ما شاؤوا من معان سلبية ، وإن ما يوجد في القرآن الكريم من إشارة نحو تخويف العدو الظاهر والكامن بكلمة " ترهبون " فهي لا تعني إلا صد من يحول دون الرسالة السماوية وتنفيذها في كل من الحياة والمجتمع ، وقد كان ذلك في صورة الدفاع عن الحملات التي شهدها التاريخ على الدين القيم الذي وفر للعالم كله ومهد للناس طرق الحياة بعبادة الله تعالى والسلوكيات الرفيعة وآداب التعايش والتعامل الطبيعية مع الجميع ، يقول الله تعالى :

(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة : ٢٥٦ – ٢٥٧) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) . (رواه مسلم)

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٦/١٢/٢٩هـ

٢٠١٥/١٠/١٤م

التوجيه الإسلامي

الإمام البيهقي في "الزهد الكبير"

بقلم : العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

(هذه كلمة علمية حول كتاب " الزهد الكبير" للإمام الحافظ أحمد بن حسين البيهقي ، كتبها سماحة الشيخ الإمام السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، كمقدمة لهذا الكتاب ، الذي قام بتحقيقه والتعليق عليه فضيلة الشيخ الدكتور تقي الدين الندوي حفظه الله ورعاه في عام ١٩٨١م ، وذلك كرسالة دكتوراة له ، ننشرها في هذا العدد نظراً إلى أهمية هذا الموضوع وفوائده الجليلة، والاطلاع على وجهة نظر سماحة الشيخ الندوي حول معاني الزهد ومفاهيمه .... التحرير)

قبل أن أدخل في صميم الموضوع ، يحسن بي أن أستعرض موقف الإسلام وموقف رسوله صلى الله عليه وسلم من هذه الحياة ، وأستعرض نظرة القرآن كذلك إلى هذه الحياة ، وتحديده لموقف من يؤمن به منها ، فذلك هو القطب الذي يدور حوله هذا السفر الجليل ، وكل ما كتب في هذا الموضوع ، وبذلك نستطيع أن نعرف قيمة هذا المجهود العلمي ، ونقدر على تقويمه تقويماً صحيحاً ولو كانت هذه المحاولة من إشاراتٍ عابرة ، وإحالة على دراسة القرآن ، والسيرة ، والسنة النبوية في تفصيل وعمق.

إن مما لا يشك فيه قارئ القرآن الكريم ــ ولو لم يكن من أصحاب التدبُّر العميق ، والاختصاص في علومه ــ أنَّ القرآن يقرر قِصر هذه الحياة الدنيا وتفاهتها وتضاؤلها في جنب الآخرة ، والآيات في ذلك أكثر من أن تُستوعَب في هذا التقديم [١] ، ويقرر في صراحة ووضوح أنها قنطرة للآخرة ، وفرصة للعمل [٢] ، ويقرر أن الآخرة هي خير وأبقى [٣] .

وهو يذمُّ ويشنّع على من يؤثر الدنيا ، هذه الفانية العارضة السقيمة الناقصة على الآخرة الباقيةِ الخالدة الواسعة الصافية من

١- إقرء على سبيل المثال سورة براءة : ٣٨ ، وسورة العنكبوت : ٦٤ ، وسورة الحديد : ٣٠ .

٢- سورة الكهف : ٧ ، سورة الملك : ٣ .

٣- سورة الأنعام : ٣٢ ، سورة القصص : ٦٠ .

الأكدار ، الخاليةِ من الأخطار [1] ، ويمدح من يجمع بين الدنيا والآخرة ، مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا ، ومعرفة قيمتها وفضلها والحرص عليه ، فيقول : فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . _ البَقَرَة : ٢٠٠ - ٢٠١).

وهناك تتعارضُ تعاليمُ النبوة مع الفلسفات الماديَّة ، والتفكير المادي الذي يلحُّ على أن هذه الحياة هي كل شيئ ، وهي المنتهى ، ويبالغ في تمجيدها وتقديسها والاحتفاء بها ، والحرص على ترفيهها ، وتحسينها ، وتزيينها ، وقد تجلّت هذه النفسية القرآنية ، أو النظرة القرآنية إلى الحياة في كلام النبي صلى الله عليه وسلم إلى حد لا يحمل معه على بادرة ، أو تأثر مؤقت ، وتجلّت في سيرته ، وفي حياته العائلية والشخصية ، وفي موقفهِ من متاع الدنيا ، في حالتي الضيق والسعة ، وفي زمن العسر واليسر تجلياً لا يتطرّقُ إليه شك ، ولا يحتمل التأويل .

وقد انصبَغَ كلُّ من تلقى التربية في هذه المدرسة النبويَّة بهذه الصِّبغة ، وكان حظ الأقربين إليه أكثر من حظ غيرهم ، فقد سيطرت عليهم فكرة الآخرة ، وجرت منهم مجرى الروح والدم ، وتغلغلت في أحشائهم ، فأصبحوا لا يذهلون عن الآخرة ، ولا يبغون بها بدلاً ، ولا يُؤْثرون عليها شيئاً ، ويكفي القارئَ أن يقرأ سيرة تلاميذ هذه المدرسة ، ولو على طول الأمد وبُعْد الزمان ، في كتب التاريخ والتراجم ، حتى لا تستطيع العقول التي لم تتلق هذا الفهمَ القرآنيَّ [2] ، أن تفهم هذه الفكرة ، وتسيغها إساغة كاملة ، وأن تعطي هؤلاء الربانيين من غير رهبانية ورفضٍ للدنيا ، وزهد سلبي ، حقهم من التقدير والإكبار ، ولا تزال في صراعٍ من هذه الأنماط من الحياة ، ومن هذه القصص من التاريخ ، ومن هذا اللّونِ من السلوك ، وتلتجئ إلى تعليلاتٍ أو تشكيكات ، أو حملٍ على التأثُّرات الخارجية أو الأحوالِ الطارئة.

١- سورة يونس : ٧- ٨ ، سورة هود : ١٥- ١٦ ، سورة إبراهيم : ٢- ٣ ، سورة النازعات : ٣٧- ٣٨- ٣٩ ، سورة الإنسان : ٢٧ ، سورة النجم : ٢٩- ٣٠ ، سورة الروم : ٧ .

٢ - سئلت عائشة رضي الله عنها عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن . أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (٢٠٨)

ولكنَّ الذي لا غموض فيه أن القرآن وسيرة الرسول والحديث النبوي الشريف ممتلئ بهذه الروح ، وأن هذا هو المزاج الإسلاميُّ ، أو النفسية الإسلامية التي تتكوَّن تحت تأثير التربية الإسلامية النبوية ، وكلما استطاع القرآن ، وكلما استطاعت السيرة النبويةُ أن تعمل عملها بحريّة ، ولم تساورْه العواملُ الأجنبية ، كان ذلك مزاجَه وطبيعتَه ، ونفسيَّته ، زهدٌ في هذه الدنيا وزخارفها ، وفضولها ، وقناعة بالقدر الكافي ، واهتمام بالآخرة ، وما ينفع فيها ، وحنين إلى لقاء الربّ ، وإيثار ما عند الله ، واستقبال للموت على الإيمان في سبيل الله[1].

وعلى هذا الدرب من إيثار الآجلة على العاجلة ، والاستعداد للآخرة ، والحنين إلى نعمائها وسعادتها ، والاقتصاد في أسباب الحياة والتبلغ ببلغة منها ، والتزام السداد والاقتصاد ، درجت الأجيالُ الإسلامية ، ما دام القرآن رائدها ، والسيرة النبوية نموذجها ، والمثال الذي يُقتدى به ، ولم يزل يظهر في المجتمع الإسلامي ربانيُّون ، ورجال كأنهم خلقوا للآخرة ، يكبحون جِماحَ المادية ، ويحدُّون من سَورة النفوس ، ويقفون حاجزاً في سبيل الاسترسال إلى الشهوات ، والانجرافِ في تيار الحياة المصطنعة ، والمدنية الزائفة ، التي جاءت بها الفتوح الواسعة ، والثروات المتدفقة ، والحضارات العجمية الدخيلة ، وأعان على ذلك ضعفُ الدعوةِ الدينيَّة ، وغيابُ النماذج العملية المؤثرة في الخلفاء والعلماء والموجِّهين ، ومن يُنظر إليهم كقدوةٍ وأسوةٍ ، وهذه هي الطبيعة البشرية على مدى العصور ، وشهادة التاريخ ، وقصة الأمم الماضية ، (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً. (الأحزاب : ٦٢)

ومن هذه المحاولات الواعية الحكيمة للتعديل من هذه الشرّة ، والتخفيف من هذه الشدة ، ورد الأمة الإسلامية (وخاصة المثقفين منهم الذين لم يزالوا ولا يزالون في مركز القيادة والتأثير) الكتبُ التي ألِّفت في موضوع الزهد ، وقد انبرى له أئمة كبار أمثالُ عبدِ الله بن المبارك ، والإمام أحمد ، ووكيع وحماد ، وابن السَّريّ ، والمعافى بن عمران الموصلي ، والحافظ محمد بن فضل بن غزوان الكوفي .[2]

---

١ - اقتباس وتلخيص من كتاب صاحب التقديم " تأملات في سورة الكهف " بعنوان : نظرة القرآن إلى الحياة الدنيا ، (ص ٧٨- ٨٦) . طبع : المختار الإسلامي – القاهرة .

٢ انتقيت هذه الأسماء من مقدمة الدكتور تقي الدين الندوي ، محقق هذا الكتاب .

وقد عد الباحثون عشرين مؤلفا في هذا الموضوع .

وأمامنا الآن كتاب " الزهد الكبير " للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي صاحب " السنن " المشهور ، المتوفى ٤٥٨هـ ، وهذا الكتاب يستحق أن يسمى موسوعة في بيان الزهد وأنواعه ، وفي الترغيب فيه وذم الدنيا والاسترسال إليها ، وأحوال السلف وقصصهم وأخبارهم ، وفي بيان العزلة والخمول وقواعدهما وآفاتهما وآدابهما.

وقد جاء فيها بحكايات مثيرة منبهة ، تلقي ضوءاً على بعض نواحي المجتمع الإسلامي الاجتماعية ، وما كان يغزوه من علل وأسقام ، لا يخلو منها مجتمع قد بلغ قمته من توسع وتفنن وتأنق ، ولماذا آثر كثير من أصحاب المبادئ والضمائر ، والحريصون على السلامة والاستقامة ، العزلة والخمول في هذا المجتمع الهائج المائج ، وقد جمع في هذا الفصل فوائد تاريخية ، قد جاءت عرضاً ومن غير قصد ، لعلها لا توجد في كتب التاريخ والأدب .

وقد عقد فصلاً في الجزء الثاني في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى ، وفصلاً في قصر الأمل والمبادرة بالعمل قبل بلوغ الأجل ، وكان شأنه في هذا شأنه في الفصول الأخرى في الاستيعاب والاستقصاء .

ولم يكتف المؤلف بالجزئين مع احتوائهما على كل ما يتصل بالموضوع حتى جاء الجزء الثالث ، وقد جاء فيه بخطب ورسائل لكثير من البلغاء والعلماء والأتقياء ، وحكايات ترقق القلوب وتذرف العيون .

وفي الجزء الرابع باب الورع والتقوى ، وهو كذلك باب مفيد .

وانتهى الكتاب بالجزءالخامس ، وأكثره أحاديث مروية وأخبار صحيحة ، وأقوال مأثورة من الصحابة والتابعين ، فكان خير ختام .

ويستطيع القارئ الواعي أن يخرج من هذا الكتاب بصورة واضحة أمينة للمجتمع الإسلامي القديم ، وما كان يجيش فيه من نزعات متناقضة ، والدور الإصلاحي والتربوي الذي قام به الربانيون من هذه الأمة ، وما حدث من رد فعل ضد الموجة الطاغية من الثراء والرخاء والترف الذي اكتسح المجتمع الأموي والعباسي بحكم اتساع الدولة ، وتهيؤ الفرص للبذخ ، والتوسع في المطاعم والمشارب والسراري والمباني والقصور ، وكان شيئاً طبيعياً وإن لم يكن كله صحيحاً مبرراً .

وكثيراً ما كانت حركة رد الفعل عنيفة لا تخلو من تطرُّف ومغالاة ، وهنالك ينطق الكتاب المبين ، وتتدخل السنة الصحيحة البعيدة

عن الاتجاهات الفردية والنوازع الداخلية ، والانعكاسات الخارجية ، وتميز بين الغث والسمين ، والخالص والزائف ، والأصيل والدخيل .

ويغلب على الكتاب المنهج الموسوعي الذي كان من سمات المؤلفين الأقدمين والمحدِّثين المتوسعين ، ولا شك أن في الحكايات من التأثير والترقيق ما ليس في البحوث العلمية ، وشق الشعرة في الأسلوب المنطقي ، وفي هذا الكتاب مادة خصبة من هذا النوع ، إلا أن في الكثير من الحكايات شدة ومبالغة تنشأ لأسباب تختصُّ بأصحاب الحكايات ، ومن ردود فعل ومقاومات معاكسة لا يتسنى تقليدها لأبناء هذا العصر .

وقد خلط المؤلف الأحاديث المروية بأقوال السلف وأبياتهم في هذا المعنى ، وفي الأبيات الكثيرة التي استشهد بها مجال لمؤرخي الأدب والمعنيين به ، عسى أن يجدوا فيها ما يرضي الذوق ، وما فات المدونين للشعر العربي في مختلف العصور والأمصار .

ولعل الكتاب أجمع في هذا الباب والخطيب في المحراب ، وفي هذا العصر الذي قد تعدت المادية طورها وضربت الرقم القياسي في الرفاهية والمدنية ، لتقدم العلوم والصناعة ، واكتشاف الطاقات الباطنية الأرضية ، وضعف الدعوة القائمة على أساس الآخرة.

كان نشر الكتاب وتحقيقه مما يلجم كثيراً من الناس الذين أمعنوا في التمتع بالحياة ، والاسترسال إلى الشهوات ، والعبث بالمال ، ويحدث فيهم شيئاً من الاقتصاد ، أو على الأقل يثير فيهم التفكير والاهتمام بما ينفع في الآخرة.

وكان الكتاب ــ على شهرة مؤلفه وجلالة شأنه ــ مطموراً في ركام الكتب الخطيَّة في المكتبات الأثرية ، وقد كان صديقنا الفاضل الدكتور تقي الدين الندوي موفقاً في اختيار هذا الكتاب لرسالة الدكتوراه التي كان قد قدمها إلى الأزهر الشريف.

وقد انتسخ الكتاب من نسخة مكتبة عارف حكمت ، بالمدينة المنورة ، وقابلها مع نسخ أخرى ، وقيَّد ما كان من اختلاف في النسخ في الهوامش ، وخرج الروايات من كتب أخرى ، خاصة الروايات المرفوعة والموقوفة ، ، وبيَّن درجة كل حديث مرفوع ، واعتمد في ذلك على كلام المحدثين والمتقنين ، وأشار إلى تراجم الرواة ، ووضع فهرساً جامعاً للصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم على حروف المعجم ، ووضع فهرساً للأحاديث المرفوعة والموقوفة ، وفي مطلع كل فصل أتى بكلام موجز

جامع من كلام المحدثين والعلماء ، وشرح بعض ما دقَّ وغمض من ألفاظ الروايات وعباراتها ، وفسَّر غريبها .

وعلاوة على كل ذلك قدم المحقق مقدمة ضافية في الزهد ، فيها بحث طويل ، ونقول كثيرة في مكانة الزهد في الإسلام ، وما هو الزهد؟ وما هي علاماته ودرجاته ؟ وجاء بمقتطفات من كلام الغزالي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ ابن قيم الجوزية ، إضافة إلى كلام السلف كالإمام حسن البصري وعبد الله بن المبارك ، ومن كلام الصوفية المحققين كشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي .

وترجم المؤلف ترجمة وافية وألقى الضوء على كل ما يتصل به من نسب ووطن ، ونشأة ، ورحلات ، وحياة علمية ، وذكر فضله في الانتصار للمذهب الشافعي ، والدفاع عن إمامه وورعه وزهده ، وتفصيل رسائله ومؤلفاته ، وبيان شيوخه وتلاميذه ، وقد استقصى ذلك استقصاءً كبيراً .

ثم أفاض في وصف نسخ الكتاب إفاضة تدل على سعة اطلاعه ، وشدة عنايته بالموضوع .

وإني إذ أكتب هذه السطور تقديماً لهذا الكتاب الجديد ، أهنئ الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي على نجاحه في هذا العمل التحقيقي ، وحسن اختياره للموضوع في عصر وبيئة كثرت فيه البحوث ورسائل الدكتوراه على موضوعات تافهة قليلة الجدوى ، بعيدة عن الحياة ، مشوبة بكثير من التشكيك في الحقائق ، والاعتماد الزائد على أقوال المستشرقين ، وأنصاف العلماء من المتجددين ، ولا شك أن الفضل في ذلك — بعد توفيق الله تعالى — يرجع إلى اشتغاله الطويل بتدريس الحديث الشريف في مراكز علمية ودينية كبيرة ، كدار العلوم لندوة العلماء في لكهنؤ ، وغيرها من الجامعات ، وتخرجه على الراسخين في العلم ، والمحدثين الجهابذة ، كبركة العصر وريحانة الهند العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا السهارنفوري ، والعالم المحدث الواسع الاطلاع فضيلة الشيخ المرحوم حليم عطا ، أستاذ الحديث الشريف بندوة العلماء ، والشيئ من معدنه لا يستغرب . (وعلى الله قصد السبيل) .

الإسلام رسالة خاتمة إلى الناس كافة

(في ضوء رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك)

بقلم : الشيخ الطاهر بدوي *

إن البشرية اليوم تعاني كما كانت تعاني قبل البعثة المحمدية المباركة من الخواء المرير، خواء الروح من حقيقة الإيمان التي لا تطيق فطرتها أن تصبر عليها ، و خواء حياتها من المنهج الإلهي .. هذا المنهج الذي ينسق بين حركتها و حركة الكون الذي تعيش فيه .

لقد منّ الله تعالى على البشرية جمعاء بالرسالة المحمدية المباركة الخاتمة و بمعجزة المعجزات الدائمة وبالملة الحنيفية السمحة الطاهرة في القرن السادس الميلادي أي في عصر كان فيه العقل الإنساني قد بلغ رشده، و استعدت فيه النفوس لقبول وحي يوفق بين الدين و الدنيا ، و يؤاخي بين العاجلة و الآجلة و يطلق للعقول حريتها الفطرية لاستجلاء غوامض الوجود و استطلاع خافيات النواميس العاملة فيه ..

و مما يميز الإسلام الحنيف عن سواه من الأديان التي تقدمته أنه دين عام كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة سبأ (٢٨) : " وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ " . هذه هي حدود الرسالة العامة للناس جميعا التبشير و الإنذار و عند هذا الحد تنتهي . أما تحقيق هذا التبشير و هذا الإنذار فهو من الله تعالى ...

و قد كتب النبي صلى الله عليه و سلم بكونه خاتم الأنبياء ، ورسولاً إلى الناس كافة لملوك الممالك المعاصرة لذلك العهد يدعوهم إلى الإسلام باسم هذا النص القرآني الكريم و ذلك في أواخر السنة السادسة من الهجرة النبوية حين رجع عليه الصلاة و السلام من الحديبية حيث كان صلحها فاتحاً لسائر الفتوحات الإسلامية و خاصة في عصر الخلافة الرشيدة و على أصحابها رضوان الله تعالى و رضاه .

و لما أراد عليه الصلاة و السلام أن يكتب إلى هؤلاء الملوك قيل له: إنهم لا يقبلون إلا و عليه خاتم فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما من

* كبير علماء الجزائر .

فضة نقشه { محمد رسول الله }

كما جاء في صحيح البخاري . ثم اختار من أصحابه رسلا ، لهم معرفة و خبرة و أرسلهم إلى الملوك ، وقد جزم العلامة المنصور فوري أن النبي صلى الله عليه و سلم أرسل هؤلاء الرسل غرة المحرم سنة سبع من الهجرة قبل الخروج إلى خيبر بأيام .. و فيما يلي نصوص هذه الكتب :

كتب النبي صلى الله عليه وسلم لملوك المماليك المعاصرة لذلك العهد :

- الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة :

وهذا النجاشي اسمه أصحمة بن الأبجر كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في رواية البيهقي عن ابن إسحاق : " ا هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة ، سلام على من ابتع الهدى و آمن بالله و رسوله و شهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، لم يتخذ صاحبة و لا ولدا ، و أن محمدا عبده و رسوله .. و أدعوك بدعاية الإسلام فإني أنا رسوله فأسلم تسلم : " قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلَمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " (آل عمران/٦٤).. فإن أبيت فإن عليك إثم النصارى من قومك ". ولما بلّغ عمرو ابن أمية الضمري كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي (وكان ذلك في أواخر سنة ست أو في محرم سنة سبع من الهجرة كما تقدم) أخذه النجاشي رضوان الله عليه و وضعه على عينيه و نزل عن سريره على الأرض وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، و كتب إلى النبي صلى الله عليه و سلم بذلك و هاك نصه .. "بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة ، سلام عليك يا نبي الله من الله و رحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : " فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء و الأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقا أنه كما قلت ، وقد عرفنا ما بعثت بها إلينا و قد قرينا ابن عمك وأصحابك فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين " .

- ثم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جُريج بن متى الملقب بالمقوقس ملك مصر والإسكندرية:

بنفس الأسلوب واختار لحمل هذا الكتاب حاطب بن أبي بلتعة و لما بلّغه المقوقس أخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه ثم كتب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يخبره أنه يعلم أن نبيا بقي و آن ظهوره وكان يظن أنه بالشام .. و بعث مع موفد رسول الله بهدايا ثمينة و جاريتين مارية القبطية التي ولدت له عليه السلام إبراهيم ، و سيرين ، و بغلة بقيت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .. و لم يزد على هذا و لم يسلم.

● وكتب النبي صلى الله عليه إلى كسرى ملك فارس يقول :

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله و أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كآفة ، لينذر من كان حيا و يحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم ، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك " . واختار عليه الصلاة و السلام لحمل هذا الكتاب عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه .. فلما قرئ الكتاب الشريف على كسرى مزّقه و قال في غطرسة :" عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي " .. و لما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم قال مزق الله ملكه ، و قد كان كما قال عليه الصلاة والسلام .

فقد كتب كسرى إلى باذان عامله باليمن : ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين عندك جلدين ، فليأتياني به . فاختار باذان ممن عنده و بعثهما بكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى .. فلما قدما المدينة و قابلا النبي صلى الله عليه وسلم قال أحدهما : إن شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك و بعثني إليك لتنطلق معي وقال قولا تهديديا فأمرهما النبي صلى الله عليه و سلم أن يلاقياه غدا .

و في ذلك الوقت كانت قد قامت ثورة كبيرة ضد كسرى من داخل بيته بعد أن لاقت جنوده هزيمة منكرة أمام جنود قيصر ملك الروم فقد قام شيرويه بن كسرى على أبيه فقتله وأخذ الملك لنفسه و كان ذلك في ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة تسع للهجرة .. و علم رسول الله صلى الله عليه و سلم الخبر من الوحي .. فلما غدوا عليه أخبرهما عليه الصلاة و السلام بذلك . فقالا : هل تدري ما تقول ؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو

أيسر أفنكتب هذا عنك ، و نخبره الملك قال عليه الصلاة و السلام : نعم أخبراه ذلك عني و قولا له : إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي إلى منتهى الخف و الحافر . وقولا له : إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك و ملّكتك على قومك من الأبناء .. فخرجا من عنده حتى قدما باذان فأخبراه الخبر و بعد قليل جاء كتاب بقتل شيرويه لأبيه وقال له شيرويه في كتابه : انظر الرجل الذي كان كتب فيه أبي إليك ، فلا تهجه حتى يأتيك أمري . و كان ذلك سببا في إسلام باذان و من معه من أهل فارس باليمن .

● وروى البخاري ضمن حديث طويل نص الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله عليه و سلم إلى ملك الروم هرقل :

وهو هذا : " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله و رسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " (آل عمران/٦٤) ".

واختار عليه الصلاة والسلام لحمل هذا الكتاب دحية بن خليفة الكلبي الذي كان يأتي جبريل عليه السلام النبي الكريم على صورته .. و أمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر .. و قد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسله إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيليا (بيت المقدس) التي جاءها قيصر إذ ذاك من حمص ، شكرا لما منّ الله عليه من إلحاق الهزيمة الساحقة بالفرس كما جاء في صحيح مسلم . وكان الفرس قد قتلوا كسرى أبرويز و صالحوا الروم على استسلام جميع ما كانوا قد احتلوا من بلاد قيصر ، و ردوا إليه الصليب الذي تزعم النصارى أن المسيح عيسى عليه السلام كان قد صلب عليه .. فكان قيصر قد جاء إلى إيليا سنة ٦٢٩م أي السابعة من الهجرة النبوية ، ليضع الصليب في موضعه ويشكر الله على هذا الفتح المبين .

و بعد أن استفسر هرقل أبا سفيان عن الدعوة المحمدية و عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف أنه نبي الله حقا ثم قال له : " فإن

كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين و قد كنت أعلم أنه خارج و لم أكن أظنه أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه و لو كنت عنده لغسلت قدميه " .

دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه .. فقال أبو سفيان لأصحابه حين أخرجوا من القصر : " لقد أمَر أمرُ ابن أبي كبشة (نسبة إلى أبيه عليه السلام من الرضاعة) إنه ليخافه ملك بني الأصفر ".. ثم قال لابن عباس " فما زلت موقنا بأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام ".

- وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين:

كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام . وبعث إليه العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه بذلك الكتاب . فكتب المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما بعد يا رسول الله ، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحب الإسلام و أعجبه و دخل فيه و منهم من كرهه و بأرضي مجوس و يهود ، فأحدث إلي في ذلك أمرك ".. فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم :" بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى ، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو و أشهد أن محمدا عبده و رسوله . أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، و إنه من يطع رسلي و يتبع أمرهم فقد أطاعني ، و من نصح لهم فقد نصح لي و إن رسلي قد أثنوا عليك خيرا و إني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب . فأقبل منهم ، و إنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك و من أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية " .

- وكتب النبي صلى الله عليه و سلم إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة :

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، و اعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحفر، فأسلم تسلم و أجعل لك ما تحت يديك ". و اختار لحمل هذا الكتاب سليط بن عمرو العامري . فلما قدم سليط رضي الله عنه على هوذة بهذا الكتاب مختوما ، أنزله وحيّاه و قرأ عليه الكتاب فرد عليه ردًا دون ردّ و كتب إلى النبي صلى الله عليه و سلم يقول : " ما أحسن ما تدعو إليه و أجمله ، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك" . و أجاز سليطا بجائزة

و كساه أثوابا .. فقدم بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه فقال :" لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت ، باد و باد ما في يديه " . فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام يخبره بأن هوذة مات .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أما إن اليمامة سيخرج بها كذابا يتنبّئ ، يقتل بعدي ". فقال قائل : يا رسول الله من يقتله ؟ فقال : " أنت و أصحابك " . و تحققت النبوة الكريمة في عهد خلافة سيدنا أبي بكر الصديق حيث ترأس مسيلمة الكذاب جيوش الردة و ادعى النبوة عليه لعنة الله .

- ثم كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر صاحب دمشق يقول:

" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر ، سلام على من اتبع الهدى و آمن به و صدق ، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لاشريك له ، يبقى لك ملكك " . و اختار لحمل هذا الكتاب شجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة . ولما أبلغه الكتاب قال : من ينزع ملكي مني ؟ أنا سائر إليه ، ولم يسلم .

- ثم كتب الرسول الكريم إلى ملك عمّان جيفر و أخيه عبد ابني الجلندي:

كتابا و إختار لحمله لهما عمرو بن العاص رضي الله عنه .. و قد جاء فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى جيفر و عبد ابني الجلندي ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما . فإنيَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس كافة لأنذر من كان حيّا و يحق القول على الكافرين . فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل، و خيل تحل بساحتكما و تظهر نبوتي على ملككما " ...

و بعد أخذ و رد و تفكير بطيء اعتنق الإسلام الملك وأخوه و أصبحا نعم العون لعمرو بن العاص في مهمته .

و بهذه الكتب كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أبلغ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض فمنهم من آمن به ومنهم من كفر .. " والله يدعو إلى دار السلام و يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " .

نظريات الترجمة الحديثة للقرآن الكريم

(الحلقة الثانية)

د . محمد شاهجهان الندوي *

نبذة عن حياة الشيخ عبد القادر الدهلوي :

الشيخ العلامة الشاه عبد القادر الابن الثالث للشيخ ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي ، توفي والده و هو صغير في سنه ،فتربى في مهد صنوه الكبير عبد العزيز ابن ولي الله الأكبر، وقرأ عليه الكتب الدرسية واستفاض منه ، وصار بحراً زاخراً في المعقول والمنقول ، فانتفع به خلق لا يحصون بحد وعد ، وكان نادرة من نوادر الزمان في الذكاء والفهم و الفراسة و المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها ، و دقة الرأي و نضج العقل ، مقبلاً على الله بقلبه وقالبه ، مشتغلاً بالإفادة و العبادة ، وأخذ الطريقة عن الشيخ عبد العدل الدهلوي .

وكان جامعاً بين العلم والعمل ، والزهد و التقى و الورع ، مع التواضع وحسن سيرة و سلوك ، وجمال خلق وكرم وعفة ، وشهامة نفس وعزتها ، وصلابة دين وحسن محاضرة وقوة عارضة وفصاحة ورجاحة ، ووضع الله سبحانه له المحبة في قلوب عباده ، لما اجتمع فيه من خصال الخير ، فصار مرجوعاً إليه في بلدته ، ومرجعاً في علمي الرواية والدراية ، وتهذيب النفوس والدلالة على معالم الرشد وطرائق الحق . وكان يدرس ويفيد ، ويسكن بالمسجد الأكبر آبادي في " دهلي " .

تلامذته :

قرأ عليه الشيخ عبد الحي بن هبة الله البرهانوي ، والشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ، والشيخ فضل حق بن فضل إمام الخير آبادي ، ومرزا حسن علي الشافعي اللكهنوي ، والشيخ إسحاق بن أفضل العمري الدهلوي ، المدفون بمكة المكرمة ، والسيد محبوب علي

* عميد كلية القرآن ، الجامعة الإسلامية ، شانتابرم ، مالابرم ، كيرالا ، الهند .

الجعفري ، والسيد إسحاق بن عرفان البريلوي ، وخلق كثير من العلماء.[1]

واشتهر بترجمته للقرآن الكريم وتفسيره في اللغة الهندية ، التي نالت قبولا عاما بين العلماء و العامة .

سبب قيامه بالترجمة :

إن الشيخ عبد القادر رأى في المنام قبل أن يقوم بالترجمة أن القرآن نزل عليه فحكاه لصنوه عبد العزيز ، فقال : إن الوحي انقطع بعد النبي الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وتأويله : أن الله سبحانه يوفقك لخدمة القرآن بما لم تسبق إليه . فوفق لهذه الترجمة العظيمة المتميزة بخصائصها و مزاياها . و قد كان يعتز بهذه الخدمة النيرة للقرآن الكريم ، وكان ينشد شعراً فارسياً بتصرف يسير ، بعد فراغه من الترجمة :

روز قيامت هر كسي باخويش نامه
من نيز حاضرمي شوم تفسير قرآن در بغل

(سيحضر يوم القيامة كل شخص بصحيفة أعماله ، و أنا سأحضر أيضاً محتضنا تفسير القرآن الكريم) .

و كتب في مقدمة ترجمته : " أراد العبد الحقير أن يكتب معاني القرآن الكريم باللغة الهندية السهلة ، كما كتب أبي ولي الله بن الشيخ عبد الرحيم معانيه باللغة الفارسية السهلة ، من المحدثين و من سكان الهند . و قد تحققت هذه الأمنية – و لله الحمد - في عام ١٢٠٥ هـ - ١٧٩٠ م" .

وكانت وفاته يوم الأربعاء لتسع عشرة خلون من رجب ، سنة ثلاثين ومائتين وألف بدهلي ، فدفن عند والده ، وكان الشيخ عبد العزيز، ورفيع الدين لا يزالان بقيد الحياة ، فكان يوم موته من أشد الأيام عليهما ، وكانا يقولان عند دفنه : إنا لا ندفن الإنسان بل ندفن العلم والعرفان .

خصائص ترجمة الشيخ عبد القادر:

ترجمة الشيخ عبد القادر الدهلوي نالت قبولا عاما و رواجا كبيرا بين أوساط العامة و الخاصة ، فاعتنوا بها اعتناء بالغا ، و قد أثنى عليها كبار أهل العلم و الأدب ثناء عاطرا ، و من المادحين لهذه الترجمة : (١)

---

[1] (عبد الحي الحسني (ت : ١٣٤١ هـ) ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ٧ / ١٠٢٧ ، ط : ١ ، بيروت ، دار ابن حزم ، ١٤٢٠ هـ) .

الشيخ المولوي عبد الحق الذي يعتبر أبا للأردية ، و عارفاً برموزها و خبيراً بحقائقها . (٢) و شيخ الهند محمود حسن الديوبندي الذي يعتبر متبحرا في العلوم الإسلامية . (٣) سماحة الشيخ الإمام العلامة السيد أبو الحسن علي الندوي ، الذي يعتبر فارسا في مجال فهم القرآن و تدبره ، كما يعتبر ماهرا في مجال اللغة و الأدب . و قد سمعت أنا بنفسي ثناءه العاطر على هذه الترجمة .

و تمتاز هذه الترجمة بمزايا عديدة ، ومن أهمها ما يلي :

١ – الإيجاز : تمتاز هذه الترجمة بالإيجاز و الاختصار حسب المستطاع .

٢ – تؤثر التيسير و سهولة الألفاظ و الكلمات ، و سهولة العبارة في اللغة الهندية ، وعدم التكلف والبعد عن التعقيد .

٣ – روعي في الترجمة الانسجام اللفظي و المعنوي مع ألفاظ القرآن الكريم و كلماته .

٤ – ترمي الترجمة إلى تحقيق الهدف الأصلي للقرآن الكريم ، و إيضاح مراده الحقيقي .

٥ – يهتم المترجم في الترجمة بلفظ يزيل الإجمال و يذهب بالإشكال قدر المستطاع ، إن كان هناك شيء منهما ، و على سبيل المثال : ترجم المترجمون بصورة عامة (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) .[1] بـ (راہ دکھائی پرہیزگاروں کو) هاد للملتزمين ، و على هذا ينشأ الإشكال أن الشخص الملتزم لا يحتاج إلى الهداية ، و لذا ترجم الشيخ بـ (راہ دکھائی ہے ڈروالوں کو) " هاديا للخائفين " ، حتى لا يبقى هذا الإشكال .

٦ – تمت فيها مراعاة " الحال " و " التمييز " و " البدل " و " المفعول المطلق " وغيره من وجوه الإعراب العربية .

٧ – الترجمة تبتعد عن استخدام الكلمات العربية و الفارسية بأقصى ما يمكن ، و تختار الألفاظ الأردية إلى حد الإمكان ، و على سبيل المثال : ترجم المترجمون على وجه العموم ، قوله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) .[2] بـ (غيب بر ايمان) أي : " يقومون بالإيمان بالغيب " ، و ترجم الشيخ بـ (یقین کرتے ہیں بن دیکھے) أي : " يوقنون بدون رؤية " .

---

[1] [٢ / البقرة : ٢] .

[2] [٢ / البقرة : ٣] .

٨ – تؤثر الترجمة التعبير الحواري ، إذا لم يناف روح الألفاظ القرآنية ، و على سبيل المثال : ترجم (إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) . [1] بـ (مگر ان ہی پر جن کے دل پگھلتے ہیں) أي : إلا على الذين ترق قلوبهم و تذوب . و قد تؤثر هذه اللغة الحوارية تأثيرا بالغا ، و تحدث لذة عظيمة ، و على سبيل المثال : ترجم قوله سبحانه : (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) . [2] بـ (نہ لڑیں گے تم سے سب مل کر، مگر بستیوں کے کوٹ میں، یا دیواروں کی اوٹ میں) أي : لا يقاتلونكم مجتمعين، بل يقاتلونكم إما وراء الحصون ، أو من خلف الأسوار والحيطان .

و ترجم قوله تعالى : (الصَّمَدُ) . [3] بـ (نرادهار) أي : مستغن عن الجميع، و يحتاج إليه في جميع الحاجات .

٩ – تمت المحاولة الجادة لاستخدام الألفاظ الهندية الرائجة في العامة . و على سبيل المثال : ترجم قوله تعالى : (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) . [4] بـ (اور بھیج پرگنوں میں نقیب)أرسل في المناطق مذيعين مخبرين جامعين .

١٠ – تقوم بمراعاة خصوصية النص من القدسية والجمال .

١١ – المترجم يحاول جادا في ترجمته إبقاء بلاغة القرآن وجمالياته ، بأقصى ما يمكن .

١٢ – جميع التراجم اللاحقة استفادت من هذه الترجمة القيمة .

١٣ - وضعت الترجمة أصلاً للتفسير والإيضاح في اللغة الهندية الهدف .

١٤ - الترجمة جميلة في أسلوبها وتعاملها مع النص القرآني .

١٥ – من ميزة الترجمة و حواشيها أنها تنفر من جميع أنواع الشرك ، و تعمق حب الله تعالى و وحدانيته في قلوب قارئيها .

١٦ – ترجمة رائعة أخاذة خلابة مرتجلة قوية ، حتى جعلها علماء الهند ترجمة إلهامية .

١٧ – طول العهد لم يذهب بجمالها و روائها و روعتها و خلابتها و لطافتها.

١٨ - أفضل التراجم القرآنية بالأردية على الإطلاق .

---

[1] [٢ / البقرة : ٤٥].
[2] [٥٩ / الحشر : ١٤].
[3] [١١٢ / الإخلاص : ٢].
[4] [٧ / الأعراف : ١١١].

نظريات الترجمة الحديثة :

ظهرت عدة نظريات للترجمة في العصر الحديث ، و فيما يلي بيان أهمها :

١. النظرية الغائية (Skopos Theory) :

طوَّر : " هانس فيرمير" (Hans J. Vermeer) النظرية الغائية (أو نظرية الهدف) في الترجمة ، وهي : نظرية تمكن المترجمين من وضع ترجمات تأخذ بعين الاعتبار النص الأصلي من جهة ، وهدف النص من جهة أخرى، لكنها تركز كثيرًا على الغاية المتوخاة من الترجمة . وترى النظرية أن هدف الترجمة النهائي هو الذي يحدد للمترجم سلفًا الاستراتيجية التي ينبغي عليه أن يتبعها في ترجمته ، وليس غير ذلك من عوامل . وقد يكون لترجمة ما عدة أهداف تؤخذ كلها بعين الاعتبار وقت تحقيق الترجمة . وينبغي على الزبون أو رب الترجمة إشعار المترجم سلفًا بالهدف أو الأهداف المتوخاة من الترجمة برسالة (ترفق مع الطلب كي يتمكن المترجم من اختيار الاستراتيجية المناسبة في الترجمة ، وبالتالي من تحقيق ذلك الهدف أو تلك الأهداف المتوخاة من الترجمة) . وفي حال عدم وجود رسالة من الزبون تحدد هدف الترجمة ، فإنه ينبغي على المترجم أن يقوم هو بدور الزبون أو رب الترجمة ، وبالتالي بتحديد هدف الترجمة وبناء استراتيجيته في تحقيقها على هذا الأساس . وتُميز النظرية الغائية أيضًا بين نوعين من الترجمات : "الترجمات الوثائقية (Documentary Translations)" و"الترجمات الوظائفية (Instrumental Translations)" ففي النوع الأول يركز المترجم على القيمة التواصلية للوثيقة/النص بحيث يتمكن واضع الوثيقة/النص في اللغة المنقول منها ، من التواصل مع متلقي الوثيقة من اللغة المنقول إليها ، وذلك بأخذ جميع العوامل الثقافية للغة المنقول منها بعين الاعتبار . بكلام آخر : يحدد النص الأصلي ، وثقافة النص الأصلي ، وبنية النص الأصلي وعناصره اللغوية شروط الترجمة هنا ، بحيث تأتي الترجمة في اللغة المنقول إليها تعبيرًا دقيقًا عن النص الأصلي المترجَم . وأكثر ما يكون هذا النوع في الترجمة الأدبية وما كان بحكمها . أما في النوع الثاني ، فإن هدف الترجمة يقتضي نشوء وظيفة جديدة في القيمة التواصلية بين واضع الوثيقة/النص في اللغة المنقول

منها ومتلقي الوثيقة من اللغة المنقول إليها ، تتمثل في احتفاظ النص المترجَم بالوظيفة ذاتها التي يملكها النص الأصلي . وأكثر ما يكون هذا النوع في الترجمة الإدارية والرسمية والقانونية .[1]

٢. نظرية أنواع النصوص (كاتارينا رايس) :

تعتمد هذه النظرية على علم اللغة النصي متمثلة مناهج تحليل الخطاب (analyse de discours) والمنهج السيميائي (la semiotique) .

ولتطبيق المبادئ النظرية لهذه العلوم ، على متعلم الترجمة أن يدرك مفاهيم البنية (la structure) والترابط (La cohesion) والاتساق (la coherence) والالتحام النسيجي للنص (La texture du texte) فقد ميز اللساني الفرنسي (Emile Benveniste) بين الجملة والنص، واعتبر أن تحليل النصوص لا يجري إلا في شكل ملفوظ (enounce) ، أي في وضعية اتصال خاصة .

أما (هاليدي وحسن) فيعتبران تميز النص بالترابط والاتساق ولحمة النسيج اللغوي في مستوى استعمال الروابط بين الجمل .

و لا شك أن عملية تحليل النصوص تقود لا محالة إلى تفكيك الصعوبات اللغوية في مستوى الشكل والمضمون .

وبالجملة ، فإن نظرية أنواع النصوص هي أكثر النظريات فعالية؛ لأنها تنتقي النوع وتتعامل معه وفق أبعاد معينة ؛ لأن المبادئ التي تقوم عليها أكثر انتظاما من النظريات التأويلية ، فهي تساعد المبتدئ في الترجمة على التدرب في طرق حل الصعوبات .

٣- نظرية التكافؤ :

و هي من أهم نظريات الترجمة ، بل إن نظرية الترجمة في المحصلة

---

[1] (راجع : Nord, C. (1997). Translating as a PurposefulActivity. Manchester, St. Jerome Publishing ، و د. عناني ، نظرية الترجمة الحديثة ، مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، الشركة المصرية العالمية، لونجمان ، مصر، ٢٠٠٣ ، ص٩ ، ٣٢ ١١٤ و ما بعدها ، و د . نايف خرما ، د.علي حجاج ، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٨ ص .١٧١ ، و د. محمد شاهين ، نظريات الترجمة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن ١٩٩٨ص ٠٩) .

٢ - Ibid ,Gilles Siouffi – Don Van Raemdonck, 100fiches pour comprendre la linguistique p 139

الأخيرة تدور حول التكافؤ(equivalence) . و هي تنطلق من النظام اللغوي (Sprachsystem) وتركز على أوجه الاتفاق والاختلاف في نظام اللغة بين لغة المصدر (Ausgangssprache) ولغة الهدف (Zielsprache)، وتنظر هذه النظرية للترجمة بوصفها عملية نقل بين نظامين لغويين يتحدد المكافئ اللغوي فيها طبقاً لعلاقات المشابهة في أنظمة اللغات ، التي غالباً ما تتعدد فيها المقابلات في اللغة الهدف عن اللغة المصدر.

وفيما يلي استعراض خاطف لنقاط أساسية في مجال النظريات للترجمة :

١- حدد الأقدمون نوعين من الترجمة هما : الترجمة الحرفية والترجمة الحرة ، وقالوا بأنه على اعتبار أن اللغة العربية مثلا لا تكافئ اللغة الانجليزية مثلا من حيث النظام النحوي والصرفي ومن حيث المفردات وغيرها ، فيجب على الترجمة أن تكون حرة لا حرفية ، حيث إن الترجمة الحرفية تلتصق بالنص المصدر ولا تراعي قواعد لغة النص الهدف .

والمرحلة الثانية المؤثرة في نظريات الترجمة ، هي ظهور " بيتر نيومارك " الذي قال بما معناه : إن الترجمة الحرفية هي الأصل ، ويجب ألا نستغني عنها بشرط أن تكون مراعية ومحققة لشروط النص المصدر البراغماتية (أي المتعلقة بالسياق) والاتصالية (أي فحوى الرسالة المراد إيصالها) ، لكن " نيومارك " آثر على تسمية الترجمة الحرفية (Semantic Translation) والترجمة الحرة (Communicative Translation) . وبالرغم من الانتقاد الموجه إلى هذا التصنيف حيث إن المرء قد يفهم خطأ أن (semantic translation) لا توصل المعلومة كـ (communicative translation) ، وهذا غير منطقي بل يتعارض مع فكرة " نيومارك " التي تقتضي بأن الأصل اتباع الترجمة الحرفية إن كان ذلك ممكناً ، إلا أن " نيومارك " قدم الإنجازين الهامين في عالم الترجمة :

١- فرق " نيومارك " بين الترجمة من نوع (word for word) و الترجمة الحرفية ، وصحح بذلك نظرة الأقدمين للترجمة الحرفية فقال : إن ما كانوا يعتبرونه خطأً في الترجمة ليس استخدام الترجمة الحرفية بل الترجمة من نوع (word for word) . وحتى هذه الترجمة الأخيرة مفيدة في الدراسات التقابلية كأن تعلم الطلبة الفرق في ترتيب الكلمات في الجملة بين العربية والإنجليزية ، مثال : (The big dog is chasing the small

cat) . أي : الكبير الكلب يطارد القط الصغير .

٢- النقطة الهامة هي أن " نيومارك " تمكن من إبعاد نظرنا الضيق حول الترجمة باعتبارها إما حرفية أو حرة ، فقال : إن الترجمة تقع في طيف (continuum) يبدأ بـ (word for word) وينتهي بـ (adaptation) (التكيف) وبينهما (semantic) (الدلالية) و(communicative) (التواصلية) .

٣- التطور الثالث الهام في نظريات الترجمة تكمن في قدوم " يوجين نايدا " الذي تمثل إنجازه الرئيسي في إزاحة التركيز في الترجمة فبدلا من التفكير في طريقة الترجمة ، وجب التفكير الآن في الأثر الذي تقوم به الترجمة ، وقال : إن التكافؤ موجود في الأثر ، وبذلك ميز بين ظاهرتين هما (formal equivalence) (التكافؤ الرسمي) و (dynamic equivalence) (التكافؤ الحيوي) .

وقال " نايدا " : إن الترجمة تقع بين هاتين ، فشيء منها (formal) (الرسمي) ، وشيء منها (dynamic) (ديناميكي) ، وبنسب متفاوتة حسب النص .

وبعد " يوجين نايدا " كان هنالك تطورات كبيرة في علم اللغة بشكل عام ، على أية حالة بدأ هذا التطور كما يلي :

١- في البداية كان اللغويون يطردون المعنى من علم اللغة ، - وكما تعلمون - ، فالمعنى يقع في صلب الترجمة ، وبالتالي كانت الترجمة خارج إطار علم اللغة .

٢ – ظهر " مالينوفسكي " عالم الإنسان (في الثلاثينيات) ، والغريب بالأمر أن دراسته عن الحضارات البعيدة جغرافيا نشأت في ذهن " مالينوفسكي " المترجم حيث كان يريد أن يعرف كيف يترجم لغة الحضارات البعيدة ، وتبين له أنه إذا استخدم الترجمة الحرفية فقد المعنى، وإذا ترجم ترجمة حرة ، فقد ثقافة الأصل ، وبالتالي وجد أن الحل الأنسب إنما يكمن في الترجمة شبه الحرفية مع التعليقات (commentaries + footnotes) . لاحظ أن " يوجين نايدا " يعتبر أن التعليقات التي تضيف أشياء (interesting) (ممتعة ، مثيرة للاهتمام) عن اللغة المصدر لا تقع على عاتق المترجم . (يتبع)

الدعوة الإسلامية

مولانا آزاد وبحثه القيم عن شخصية ذي القرنين المذكورة في القرآن

د . علي رضا *

أبهر مولانا أبو الكلام آزاد العالم الإسلامي والعربي ، وحير العلماء والمفسرين ببحثه القيم والشامل عن شخصية ذي القرنين الورادة في القرآن الكريم ، لأنه قام برد جميع أقوال ومدلولات العلماء والمفسرين السابقين بقوة استدلاله وعمق معلوماته حول ذي القرنين ، ونجح إلى حد بعيد بفك لغز شخصية ذي القرنين الذي كان يُعتبر شيئا خارقا لا يمكن الوصول إلى كنهه ، ويحير العلماء والمفكرين عبر القرون .

من المعلوم أن البحث يشتمل على الآيات القرآنية من سورة الكهف " وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ . . . إلى آخر الآية . . . فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا (٨٣ - ٩٨) . نزلت هذه الآيات جواباً لسؤال من قريش ، فروى الترمذي والنسائي والإمام أحمد في مسنده : أن قريشا – بإيماز من علماء اليهود – سألت النبي عن أمور ، منها : ذو القرنين ، فقالت : " من هذا الرجل ؟ وما هي أعماله ؟ " فنزلت هذه الآيات .

خصائص ذي القرنين الواردة في القرآن :

يمكن أن نلخص خصائص ذي القرنين التي قسمها مولانا آزاد نظراً إلى الآيات الواردة في القرآن بإيجاز فيما يأتي :

الأولى : تتعلق بالذات :

١- أن اسم ذي القرنين لم يضع القرآن ، بل الذين سألوا عنه . ٢- أعطاه الله الملك ووهب له أسباب الحكم والغلبة . ٣- كان الملك مؤمناً بالله وبالآخرة . ٤- كان ملكاً عادلاً رحيماً برعيته . ٥- لم يكن حريصاً للمال .

الثانية : تتعلق بمهماته الحربية الثلاث وهي :

١- مهمة حربية غربية ٢- مهمة شرقية ٣- مهمة إلى مكان مضيق

---

* الأستاذ المساعد ورئيس قسم اللغة العربية كلية بهانغر التابعة لجامعة كولكاتا .

جبلي يشن من ورائها قوم يأجوج ومأجوج الغارات على أهالي المنطقة ، فبنى السد المنيع واستهلك فيه الحديد وأفرغ عليه النحاس .

جعل مولانا آزاد هذه الخصائص أمامه عند البحث ، وحاول بكشف الغطاء عن شخصية ذي القرنين والوصول إلى الحقيقة فناقش أولاً تسمية ذي القرنين والأقوال السابقة المتعلقة بهذا الاسم ، وقال : إن الاسم هو أول مسألة شغلت بال المفسرين منذ زمان ، هل هذا هو اسم الرجل أو لقبه ؟ إذ لم يعرف أن يكون لإنسان قرن أو قرنان ، ولم يوجد في التاريخ ملك لقب بهذا اللقب ، فتحيروا وتخبطوا في تفسيره خبط عشواء .

فقال بعضهم : إن " القرن " لم يستعمل في معناه الظاهر ، بل أريد به الزمن . ولما امتد زمن الملك واتسع نطاق فتوحاته إلى عهدين كبيرين ، لقب بذي القرنين . ثم اختلفوا في تحديد مدة القرن ، فقيل : ثلاثون سنة وقيل : خمس وعشرون سنة وما إلى ذلك . وقد ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره آثاره ، غير أنه لم يلق الضوء على شخصيته ، بل حاول الإثبات فيما إذا كان ذو القرنين نبياً أو غير نبي ، بشراً أو ملكاً ؟ قيل في بعض الروايات أنه عاصر إبراهيم عليه السلام ، بينما رأى البخاري رحمه الله أن ذا القرنين وجد قبل إبراهيم بزمن قليل أو في عصره .

ولما بدأ عهد جديد للبحث والنقد لفتت أسماء الملوك الحميريين كذي المنار وذي الأذار وغيره أنظار بعض المؤرخين فقالوا : إنه من الملوك الحميريين وقد صرح به أبو الريحان البيروني في كتابه " الآثار الباقية " : ووافق عليه ابن خلدون . لكن هذه النظرية قامت على افتراض لا يدعمه دليل تاريخي ، ويخالف القرائن والشواهد ، لأنه لم يوجد حتى الآن شهادة تدل على ملك حميري اتسعت فتوحاته شرقاً وغرباً وبنى سداً حديدياً كما ذكره القرآن . فلا اعتبار بوجود " ذي " مع أسماء هؤلاء الملوك .

ثم جاءت طبقة أصحاب النظر والرأي فذهبوا إلى أن الإسكندر المقدوني هو ذوالقرنين ، نظراً إلى اتساع مملكته وانتصاراته في الشرق والغرب . والشيخ أبو علي سينا هو أول من قال هذا في كتابه ((الشفاء)) وأشار إلى أن أرسطاطاليس كان معلماً للإسكندر . وأن الإسكندر هذا كان مؤمناً بالله ومتصفاً بسلوكه القويم ، كما ذكره القرآن . وتابع الإمام فخر الدين الرازي ابن سينا في هذا الرأي ، وسرد في تفسيره الشهير - على عادته - كل ما قيل خلاف هذا الرأي . ومما يلفت النظر أن

المقدوني هذا لم يكن مؤمناً بالله ولم يبن سدا في حياته ولم تكن له فتوحات تعد فتوح الشرق والغرب حسب التاريخ الذي دون في حياته . فليس ثمة وصف يسوغ اتصافه بذي القرنين كما جاء في القرآن الكريم .

يتضح من هذا أن المفسرين لم يصلوا إلى نتيجة مقنعة في بحثهم عن ذي القرنين . فما هو الطريق الذي يؤدي إلى ذي القرنين يا تُرى ! وحسب مولانا آزاد أن اليهود هم الذين أثاروا هذا السؤال أصلاً فكان من المناسب أن يرجع المفسرون إلى كتابهم المقدس ويبحثوا هل يوجد هناك شيئ يلقي الضوء على شخصية ذي القرنين ؟

يوجد بين دفتي ((العهد القديم)) سفر نسبوه إلى دانيال النبي الذي تقرب بنبوآته العجيبة وحكمته البالغة إلى ملوك بابل في أيام أسر اليهود في بابل ، فجاء في الباب الثامن من الكتاب :

في السنة الثالثة لجلوس (بلشفر) الملك ، كنت بمدينة سوس هيرا من أعمال عيلام ، على شاطيء نهر أولائي فرأيت الرؤيا للمرة الثانية ، رأيت كبشاً واقفاً على شاطيء النهر ، له قرنان عاليان ، وكان الواحد منهما منحرفا إلى ظهره ، ورأيت الكبش ينطح بقرنيه غربا وشرقا وجنوبا ، لا قبل لحيوان بالوقوف أمامه . فهو يفعل ما يشاء وصار هو كبيراً جداً . وبينما أنا أفكر في هذه الظاهرة رأيت تيساً أقبل من جهة الغرب ، وغشي وجه الأرض كلها ، وكان بارزاً بين عيني التيس قرن عجيب . ثم عمد إليه فكسر قرنيه وصرعه وداسه ، فأصبح الكبش ذو القرنين عاجزاً عن مقاومته ، محروماً من ناصر ينصره عليه : (سفر دانيال ١ :٨)

ثم ذكر الكتاب على لسان دانيال أن الملك جبريل ظهر له وشرح الرؤيا قائلاً : إن الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد المملكتين " مادا وفارس " فيملكها ملك قوي لا تقدر دولة على مواجهته . أما التيس ذو القرن الواحد الذي رآه بعد الكبش، فالمراد منه ملك اليونان . والقرن البارز بين عيني التيس يدل على أول ملك من اليونان وهو الإسكندر المقدوني الذي هاجم دارايوش ، إمبراطور (مادا وفارس) وقضى على سيادة أسرة هنمامنشي .

وجدير بالذكر أن كلمة القرن عامة في اللغتين العربية والعبرية ، فقد وصف الكبش في سفر دانيال باللغة العبرية بـ (لوقرنائيم) معناه بالعربية له قرنان أي أنه ذو القرنين . وهناك بشارة أن نهاية بلاء ومحن اليهود ببابل منوط بقيام هذه المملكة ذات القرنين .

من المعلوم أنه ظهر بعد سنوات من هذه الرؤيا ملك ((غورش)) الذي سماه اليونان بـ(سائرس) واليهود بـ (خورس) وقام بتوحيد مملكتي (مادا وفارس) وأنشا منهما سلطنة عظيمة ، ثم هاجم بابل واستولى عليها بسهولة . ومما يلفت النظر أن النبي دانيال رآى في المنام أن الكبش ذا القرنين ينطح بقرنيه في الغرب والشرق والجنوب ، أي يفوز بانتصارات باهرة في الهجمات الثلاث . وكذلك صدقت الرؤيا بخلاص اليهود ، فقد أطلقهم الملك غورش بعد فتح بابل من الأسر وأذن لهم بالعودة إلى فلسطين، وبناء الهيكل من جديد .

هناك شهادة أخرى خارج التوراة تؤيد أن ذا القرنين هو غورش وهي تمثال غورش الحجري الذي تم عثوره على شاطيء نهر "مرغاب" البعيد عن عاصمة إيران القديمة ((اسطخر)) خمسين ميلا تقريباً . هذا التمثال على القامة الإنسانية وعلى جانبيه جناحان كجناحي العقاب ، وعلى رأسه قرنان كقرني الكبش ، يده اليمنى ممتدة إلى الأمام ، ولباسه كاللباس المعهود عند ملوك بابل وإيران .

الإيمان بالله والآخرة :

يثبت من الشواهد والقرائن أن الملك غورش كان مؤمناً بالله ويدين بدين مزديسنا ، أي أنه كان يتبع الدين الذي جاء به زردشت الشهير . وقد دعا زردشت إلى التوحيد وحرم الشرك بالله وعبادة الأصنام وأبطل جميع معتقدات موغوش أي المجوس دين مادا وفارس الذين كانوا يعبدون النار .

وجدير بالذكر أن الدين الزردشتي مرَّ بأدوارٍ من التحريف والتبديل، ولما جاء الإسلام كان هذا الدين الزردشتي محرفاً تماماً ومعروفاً لدى العرب باسم المجوسية . على الرغم من أن الدين الزردشتي خالف الدين المجوسي ووصف أتباع الدين المجوسي بالضالين والمضلين كما جاء في كتابه يسنا ٣٢ " : إن هؤلاء الضالين والمضلين يذبحون الذبايح ويقدمون الضحايا ، ويفرحون بعملهم " وقد وضعهم النبي صلى الله عليه وسلم بمقام أهل الكتاب حيث قال : " سنوا بهم سنة أهل الكتاب " وهكذا اعترف الإسلام لدينهم بما اعترف به لدين اليهود والنصارى . وبالإضافة إلى ذلك قد ذكر مولانا آزاد شعر الفردوسي صاحب ((شاه نامه)) الشهيرة بتأييد قوله أن أهل زردشت كانوا مؤمنين بالله وحده ، يقول الفردوسي باللغة الفارسية :

مكوئي كه آتش برستان بدند برستند " كا نبك يزدان " بدند

أي لا تقل عن الزردشتيين أنهم كانوا عبدة النار بل كانوا يعبدون الله

الواحد. ومما يستدعي النظر أن أبا الريحان البيروني حقق تواريخ الأمم في عصر الفردوسي وفرق بين الدين الزردشتي والمجوسية في كتابه ((الآثار الباقية))

العدل والرحمة برعيته :

يكفي لنا استشهاد أحد مؤرخي اليونان بخصوص غورش لأن هؤلاء المؤرخين الذين كتبوا عن غورش ، لم يكونوا من قومه ولا من أبناء وطنه ودينه، ذكر مولانا آزاد شعراً بليغاً بهذه المناسبة :

ومليحة شهدت بها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

يقول هيرودوس : " كان (غورش) ملكاً كريماً جواداً سمحاً للغاية ، لم يكن حريصاً على جمع المال كغيره من الملوك ، بل كان حريصاً على الكرم والعطاء . يبذل العدل للمظلومين ، ويحب كل ما فيه خير البشر" .

هجومه الأول في الغرب :

اتفق مؤرخو اليونان على أن غورش هاجم على مادا (ليديا باللغة اليونانية) الواقعة في القسم الشمالي من آسيا الصغرى ، لأن كروسس ملك مادا بدأ العداء وأن غورش حمل السيف مضطراً إليه وكانت حكومة مادا في ذلك الحين يونانية الصبغة . انتصر غورش في الحرب وعامل المفتوحين بكل سخاء ، ولم يقم بالفتك والدمار مثل الملوك في عصره . ولما تقدم غورش بعد استيلائه على ساردیز ، وصل من ساحل بحر ايجه إلى مكان قريب من أزمير ، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين ، وكان الماء قد انكدر من وحل الساحل ، فرأى الشمس تغرب مساء في هذه العين . هذا هو ما عبر عنه القرآن بقوله " وجدها تغرب في عين حمئة " وجدير بالذكر أن الشمس لا تغرب في مكان ما ، ولكن إذا وقف واحد على ساحل بحري لرأى الشمس كأنها تغرب رويداً ورويداً في البحر .

هجومه الثاني في الشرق :

يذكر مؤرخو اليونان هيرودتس وتيس أن المهمة الشرقية التي قام بها غورش حدثت بعد فتح مادا وقبل استيلائه على بابل وقالا : " إن طغيان بعض القبائل الهمجية الصحراوية حمله على القيام بهذه المهمة " فقد اضطر غورش إلى الهجوم على القبائل الهمجية من غيدروسيا وبكتريا ، وذلك لسلامة البلاد وحفظ نظامها . أما غيدروسيا فهي البلاد الواقعة بين إيران الجنوبية والسيد ، وهي التي تسمى الآن بمكران وبلوخستان . وهذا يطابق ما قاله القرآن " حتى إذا بلغ مطلع الشمس ، وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من

دونها سترا " أي أنه لما وصل إلى نهاية الشرق ، رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم ما يستترون به من قيظها ، يعني أنهم كانوا من القبائل الرحالة لا تسكن المدن ولا تبني لها البيوت .

سد ذي القرنين ومسألة يأجوج ومأجوج :

أما السد ، فيجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أمرين بخصوص السد ، كما ذكر في الآيات القرآنية ، وهما :

١- أن السد أقيم في مضيق جبلي .

٢- استخدمت فيه زبر الحديد (أي قطع الحديد) وأفرغ عليها النحاس والمذاب .

يخرج من الأمرين المذكورين أعلاه كل سد مبني من الحجر والآجر بما فيه جدار الصين ، لأنه لم يبن في مضيق جبلي ولا استخدمت فيه قطعات الحديد ، بل هو نوع من الجدار المبني من الحجر ويمتد إلى مئات الأميال ، لكن قبل أن نبحث عن السد بالتفصيل ، علينا أن نبحث عن يأجوج ومأجوج لأن هاتين الكلمتين تؤديان إلى السد ، نجد أن القرآن استخدم يأجوج ومأجوج مرتين ، فقال في سورة الأنبياء : " حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ " وفي سورة الكهف التي ذكرت قصة ذي القرنين في الواقع أن كلمتي يأجوج ومأجوج يظهران بادئ الأمر أنهما عبريتان لكنهما في أصلهما قد لا تكونان عبريتين ، إنهما كلمتان أجنبيتان اتخذتا الصورة العبرية ، فهما تنطقان باليونانية (Gog) غاغ و (Magog) ماغاغ ، وقد ذكرتا بهذا الشكل في الترجمة السبعينية للتوراة ، وراجتا بهذا الشكل في سائر اللغات الأوروبية . وقد ورد هذا الاسم في كتاب الخلق للتوراة عند ذكر خروج أمم العالم من ذرية نوح " ولد لياڤث بن نوح ، جمر ، ومأجوج إلى آخره .....

حسب مولانا آزاد أنهم قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية أي منغوليا والمنطقة المجاورة له التي تعتبر مهداً لشعوب قديمة ، تدفقت سيول هذه القبائل من قبل عصر التاريخ حتى القرن التاسع الميلادي، ومرت بسبعة أدوار من خروج موطنها الأصلي ، ومن ميزات هذه القبائل ، أنها تفقد خصوصياتها الأولى وتصطبغ بصبغة أوطانها الجديدة، وقد سميت هؤلاء القبائل بأسماء مختلفة في عصور مختلفة وعرف قسم منها في الزمن المتأخر باسم ميغر في أوربا وباسم التتار في آسيا ، انتشر فرع من هؤلاء

القبائل على سواحل البحر الأسود في سنة ٦٠٠ ق . م . وأغار على آسيا الغربية نازلاً من جبال القوقاز ، وقد سماه اليونان باسم " سي تهين " وذكر بنفس الاسم في كتابة دارايوش باسطخر . . . وعلى أساس هذا نتأكد أن هؤلاء هم الذين شكت غاراتهم الشعوب الجبلية إلى غورش ، فبنى السد الحديدي .

رجح مولانا آزاد أن غوروش بنى السد في مضيق داريال الذي يقع وسط سلسلة جبال قوقاز بن بحر الخزر والبحرالأسود حيث يوجد حتى الآن جدار حديدي من قديم الأزمان ، إذ تنطبق عليه الأوصاغ التي وصف بها القرآن ، قائلا إنه استخدمت في بنائه زبرالحديد وأفرغ عليه النحاس . ومما يستدعي النظر أنه سمي هذا السد في اللغة الأرمينية منذ الزمن بـ " بهاك غورائي " و"كابان غورائي" ومعنى الكلمتين واحد ، وهو مضيق غوروش أو ممر غوروش ، ومن المعلوم أن غور هو جزء من اسم غوروش ، ومن ثم يثبت أن غوروش هو الذي بنى هذا السد ، ولذلك نسبوه إليه من قديم الزمان . وهناك شهادة أخرى أن هذا المضيق سمي باللغة الجورجية بـ " الباب الحديدي " وترجمة الأتراك إلى لغتهم بـ " دامر كبو " وهو مشهور إلى الآن عندهم ، أما قول جدار داربند الواقع على ساحل بحر الخز هو سد ذي القرنين كما رأى البيضاوي والرازي ، فليس هذا صحيحاً ، لأن صفات سد ذي القرنين لا تنطبق عليه كما ذكر في القرآن الكريم .

خلاصة القول :

مما لا شك فيه أن مولانا أبا الكلام آزاد قام ببحث هذا الموضوع بصورة دقيقة وشاملة ، وحاول الرد على جميع الأقوال والآراء السابقة المتعلقة بذي القرنين بمعلوماته الواسعة واستدلالاته المنطقية القوية ، وله فضل كبير لكشف الغطاء عن أسرار ذي القرنين وإثبات أن ذا القرنين هو الغورش ليس غير ، في ضوء الخصائص الواردة في القرآن وتمثاله الحجري الذي تم عثوره على شاطيء نهر" مرغاب" البعيد عن عاصمة إيران القديمة ((اسطخر)) خمسين ميلاً تقريباً . يدل هذا البحث على جدارة بحثه واتساع معلوماته وسديد نظره واتزان فكره . نال هذا البحث قبولا واسعا في الأوساط العلمية ، وقد تمت ترجمة هذا البحث باللغة العربية بشكل كتاب ، اسمه " يسألونك عن ذي القرنين " وطبع بدار الشعب في مصر في عام ١٩٧٢م .

أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها ... قدوة لنساء العالمين

بقلم : د . محمود حافظ عبد الرب مرزا *

إن الله خلق الإنسان وعلمه البيان وجعله حامل رسالته وخليفة في الأرض ، حيث أرسل رسوله هادياً ومبشراً ونذيراً وقدوة للصالحين وأسوة لكل من يرغب في أن ينعم برضا الله سبحانه وتعالى ، حيث يقول سبحانه وتعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) [1] .

ومن هذا المنطلق نجد أن كل قول وعمل صادر عن سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ليس إلا بمثابة دروس لأمته حتى تتبع طريقته المثلى في إطاعة الله واتباع هديه القويم ، لكي يتحقق لهم أمل الظفر بالدارين بإذن الله .

ولا ريب أن أكثر الكتب المدونة في مواضيع السير والتراجم تختص بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقد تطرق إليها عدد لا يمكن إحصاؤه من الكتاب والمؤرخين من مختلف أرجاء العالم . ولكن الأمر الذي يزيد الطين بلة ، هو سعي بعض المستشرقين إلى الإساءة إليه عمداً وتشويه صورته ، طمساً للحقائق ، وإفساداً للعقائد ، ونشر معلومات خاطئة ، لا سيّما فيما يخص حياته الزوجية ، حيث كان تعداد زوجات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، نغمة طالما رددت على قيثارة أعداء الإسلام ، مع أن الجميع يعرف ويدرك ملياً بأنه قد تزوج في عنفوان شبابه من سيدتنا خديجة رضي الله عنها التي كانت تكبره بـ ١٥ عاماً وكانت أرملة حينما تزوجها ، ولم يتزوج الرسول إلا بعد وفاتها ، وذلك عندما تجاز الـ ٥٠ من عمره ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحكمة الكامنة وراء زواجه من أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن أجمعين . وفي الواقع ، لم يتجرأ أي مشرك أو منافق طوال حياته على إثارة

---

* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية والفارسية ، جامعة الله آباد .

١ سورة البقرة ، آية رقم: ٢.

أي شك حول هذا الجانب بل كان يعترف بمدى أخلاقه الرفيعة وصدقه وأمانته . يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن هذا المنطلق ، نرى أن الغاية من تعدد زوجات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، كان لحكم كثيرة ومتشعبة ، منها تعليمية ، تشريعية ، سياسية ، واجتماعية . ولا يمكن التعرف عليها إلا من خلال دراسة تراجم زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، ليتسنى استقصاء الحكم الكامنة من زواجه بكلٍ منهن .

إننا نجد أن قضية المرأة تحتل حيزاً واسعاً من القضايا التي تثير الجدل في أوساط العالم وخاصة قضية المرأة المسلمة ، حيث نرى إن العديد من المستشرقين يرونها أسهل وسيلة لشن هجوم وانتقادات حادة على الإسلام باعتبار أن المرأة المسلمة محرومة من الحقوق الرئيسية في ضوء اتباعها لتعاليم الإسلام الحنيف . واعتبار القيم الإسلامية بمثابة عائق لها في تحقيق التقدم والازدهار المنشود والسير جنباً بجنب مع الرجال وتحقيق طموحاتها وآمالها وفق الحقوق المشروعة لها .

ولكن من المؤسف ، أن المسلمين وخاصة المثقفين – على ما يبدو – منهم بالأحرى ، وقعوا ضحية لهذه الافتراءات مما أدّى إلى خلق سوء الفهم لديهم عن حقيقة الإسلام رغم أن أنظمته وقوانينه واضحة وضوح الشمس حول كافة القضايا ، ناهيك عن قضية المرأة .

هذا إلى جانب أن المرأة المسلمة بدأت ، نظراً لكل هذه الافتراءات، تجد نفسها متخبطة لا تعرف السبيل الذي يجب عليها أن تتبعه حتى لا تقع فريسة لهذه الإفتراءات ويُمكنها اتباع النهج القويم فيما يخص حقوقها وواجباتها ، بدون تعريض لحرمتها وقداسيتها لأي خطر .

ولعل من وراء ما قام به صلوات الله وسلامه عليه أهدافاً ودروساً تقتضيه الأزمنة والأيام في كافة مجالات الحياة ، حيث نرى أن زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أجمعين ، يُعتبر مثالاً فريداً لإزالة العديد من الشكوك والشبهات في هذا المضمار ، ولكيفية تعامله مع زوجاته صورة واضحة لكل من يسعى إلى اتباع طريقه القويم في الحفاظ على حقوق الزوجة وعدم التورط فيما يتم

اعتباره اعتداءً صارخاً على حقوقها الرئيسة ، ومنحها إياها على خير وجه، والحفاظ على كرامتها وشرفها ، وعدم الانخداع بكل حيلة يحتال بها الغرب في سبيل هضم حقوقها بشتى السبل والوسائل حتى يشبعوا بذلك غريزتهم الفاسدة .

إننا من خلال هذا المقال ، نسعى إلى إلقاء الضوء على جانب من حياة سيدنا المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، حيث نركز على زواجه من أم المؤمنين ، أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وإقامته معها وكيفية تعامله معها وحسن معاشرته لها ، فضلاً عن مدى استفادة أم المؤمنين من هذه الصحبة المباركة في نشر التعاليم الإسلامية وخدمة الدين الإسلامي الحنيف لتصبح قدوة لكل من يرى ضرورة معرفة سيرتها المثلى ، حتى يتم الإحاطة على هذا الجانب ، ومعرفة الخدمات التي قامت بها أم المؤمنين لتتضح الصورة أمام فتيات ونساء المسلمين والتي نعتبرها المدرسة الأولى لكل طفل وطفلة ومنبعاً ثراً لغرس القيم الإسلامية السمحة في أبنائها . فقد أكرمهن الله سبحانه وتعالى وشرفهن وأكد علو منزلتهن ورفعة قدرهن قائلاً : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء)[1] .

اسمها ونسبها :

اسمها رملة وكنيتها أم حبيبة (رضي الله عنها) ، بنت أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس . أما والدتها فهي صفية بنت أبى العاص ، ولدت في مكة المكرمة قبل سبعة عشر عاماً من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم[2] .

حياتها الزوجية قبل اقترانها بالرسول صلى الله عليه وسلم :

اقترنت في بداية الأمر بـ "عبيد الله بن جحش" ، واعتنقا كلاهما الإسلام في بداياته ، رغم أن والدها كان من ألد أعداء الإسلام وأشد خصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعندما صدر الحكم الإلهي بالهجرة إلى الحبشة ، اتجه عبيد الله بن جحش وأم حبيبة تجاهها برفقة عدد من المسلمين ، فقد خشيت رملة أذى أبيها فهاجرت مع زوجها في الهجرة الثانية إلى الحبشة وهي مثقلة بحملها ، وتركت أباها بمكة ،

---

١ سورة الأحزاب ، آية رقم: ٣٣.

٢ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٥٠٨-

وقد جن غيظه وقهره أن أسلمت ابنته وليس له إليها سبيل ، ولكن الأمر الذي وقع أثناء وصولهما إلى الحبشة كانت له تداعيات على أم حبيبة ، حيث إنها رأت في منامها أن زوجها قد اسودّ وجهه ففزعت من ذلك ، وعندما أصبحت رأت أن زوجها قد ارتدّ عن الإسلام واعتنق النصرانية ، وبدأ يُدمن على شرب الخمر ، ورغم سَعيها الجاد لاقناع زوجها على العدول عما وقع فيه وعدم افساد آخرته ، لم يغن هذا النصح عنه شيئاً ، حتى وافته المنية . وأنجبت له ابنة سميت بـ "حبيبة" ، التي اكتنت بها فأصبحت تدعى بـ " أم حبيبة " [1] .

قصة زواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم :

وعندما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة إيمان أم حبيبة وشجاعتها وبسالتها ومدى استقامتها على الدين حتى في الشدائد والمصائب التي أحاطت بها من كل جانب ومدى حبها وشغفها بالإسلام والتضحية بكل غال ونفيس من أجلها ، قرّر أن يتزوجها . علماً بأن هذا هو الدافع الرئيسي لزواجه منها ، لأن الحكمة الإلهية كانت تقتضي أن يختار رسولنا الكريم أزواجاً تحملن بعد وفاته رسالة الإسلام ويعملن على نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف بين النساء ، لأنهن بالطبع هن المدرسة الأولى لكل طفل وطفلة ، ولأن هناك العديد من المسائل المتعلقة بالنساء والتي لا يمكن لأحد سواهن إيضاح تلك المسائل ، ولأن المرأة تستحي من استفسار ذلك من الرجال ، وقد يخجل الرجل من توضيح المسألة أمامهن وما إلى ذلك .

وبعد وفاة زوجها ، رأت في منامها أنها تنادى بـ "أم المؤمنين" ، فكانت من بين بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم التي أوحي إليها في منامها بأنها ستقترن بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك جزاء لما عانته من مصائب في سبيل التمسك بهذا الدين الحنيف ، فاستغربت من هذا الحلم ، ولكن تأويل هذه الرؤيا تجلى لها سريعاً بعد تمام عدتها حيث تلقت خطبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب فيها أن ينكحها ، فقد أرسل رسول الله عمرو بن أمية ضمري رضي الله عنه إلى ملك الحبشة يسأله أن يرسل إلى أم حبيبة رضي الله عنها من يفيدها

---

١ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٥٠٨-

برغبته في الزواج منها ، وأن ينكحها له بالنيابة عنه إذا ما أبدت رضاها ويرسلها إلى المدينة المنورة .

وبعد أن تلقى النجاشي رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرسل جاريته أرهة إلى أم حبيبة رضي الله عنها ، وهي تحمل إليها رسالة الرسول للزواج منها ، وأن توكل شخصاً من ينوبها حتى يتم عقد النكاح إذا كانت راضية بذلك ، فوافقت أم حبيبة رضي الله عنها على الفور ، فسرت سروراً لا يعرف مقدارها إلا الله سبحانه وتعالى ، وأهدت الجارية سوارين وخاتماً من الفضة وغيرها من الهدايا . وأوكلت ابن عمها خالد بن سعيد بن عاص بن أمية رضي الله عنه . وفي المساء ، اجتمع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وعدد من المسلمين الذين كانوا موجودين في الحبشة عند النجاشي حيث تم عقد حفلة الزواج .

وبعد انتهاء خطبة النكاح ، أهم الناس بالخروج ، ولكن النجاشي طلب منهم تناول مأدبة الوليمة امتثالاً لسنة الأنبياء عليهم السلام، وبذلك تناول الحاضرون الطعام ، وبعدها غادروا قاعة حفلة النكاح .

ويقال:إنه وبعد أن تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بنو أمية يخففون من عدائهم له . حيث إنه وبعد أن وصلت أنباء هذا الزواج إلى أبي سفيان قال : " هذا الفحل لا يُقدع أنفه " . ومعناه : أن محمداً رجل شريف لا يرد عن مصاهرة ولا مواصلة ويسر كل إنسان أن يزوجه ابنته ، وبدأ يشعر بالفخر من جرّاء هذا الكفؤ (رغم عداوته الشديدة للمسلمين وعدائه للإسلام) ، ولم ينكر كفاءته له إلى أن هداه الله سبحانه وتعالى للإسلام .

ولا مراء في أن هذا الزواج كان سبباً لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين لا سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة ، وكان تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من ابنة أبي سفيان ، سبباً لتأليف قلبه ، وقلب قومه وعشيرته ، كما أن الرسول قد اختارها لنفسه تكريماً لها على إيمانها فما أكرمها من سياسة وما أجلها من حكمة .

ومن هنا نستنتج أن زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرملة ناهزت الـ ٣٦ أو ٣٧ من عمرها ، يفيد بأن من وراء هذا الزواج أهدافاً ومقاصد يفوق خيال كل من يسعى إلى الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه

وسلم وأزواجه المطهرات ، وأن الهدف الحقيقي هو الاعتراف بحقيقة الإسلام والتعاطف مع المسلمين والتضحية والنصيحة والتمسك بالقيم الإنسانية .

يقول الدكتور/ محمد السيد علي بلاسي :

" لقد تزوج النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ببعض النسوة لحكمة سياسية من أجل تأليف القلوب عليه ، وجمع القبائل حوله ، وهذا أمر طبعي ، حيث إن أي إنسان إذا ما تزوج قبيلة أو عشيرة يصبح بينه وبين هؤلاء القوم قرابة وبطبيعة الحال يفرض عليهم نصرته وحمايته"[1].

وهكذا ، فإن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة رضي الله عنها ، كان لحكمة سياسية ، لأن أباها أبو سفيان كان حامل لواء الشرك آنذاك ، وكان من ألد خصوم ومعارضي الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أسلفنا الذكر . وبعد أن مات زوجها وهي بعيدة في المهجر ، أبدى الرسول صلى الله عليه وسلم رغبته في الزواج منها ، لأنها لو رجعت إلى أبيها وأهلها لكان هناك إمكانية في أن يجبروها ويعيدوها إلى الكفر والردة أو يعذبوها عذاباً شديداً ، والعياذ بالله .

مواقفها الحميدة من الإسلام :

ومن إحدى المواقف التي يشهد لها بمدى حبها لزوجها وللإسلام وكيفية تضحيتها ، أنه في ذات يوم جاء أبو سفيان إلى المدينة المنورة ، لأجل أن يرد ابنته عن الإسلام من بين أمور أخرى ، وقرع الباب ففتحت له ابنته الباب ، فوقفت لا تدرى ماذا تفعل ولا ماذا تقول لأنها فوجئت بمجيئه بالفعل ، وعندما رأت أم حبيبة أن أباه يريد الجلوس أسرعت وألمت الفراش الذي كان قد مد بجانب من جوانب الحجرة ، فسألها والدها قائلاً : أراغبة بهذا الفراش يابنية عني أم بي عنه؟ فأخبرته أنه كافر ولا يستحق أن يجلس على سرير النبي صلى الله عليه وسلم ، قائلة : إنها فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت رجل مشرك ، فلا أحب أن تجلس عليه . ونظراً لذلك ، غضب أبو سفيان وقال : " لقد أصابك بعدي شر " .

---

[1] مجلة البعث الإسلامي ، المجلد ٤٦ ، العدد التاسع ، يوليو عام ٢٠٠١م ، ص ٦٣.

ولكنها قالت : " بل خير " [1] .

اتباعها لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم :

لقد كانت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها تتبع أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وتسعى إلى العمل وفق ذلك ، عن عنسبة بن أبي سفيان عن اخته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد مسلم يصلي لله عز وجل كل يوم اثنتى عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى له بيت في الجنة ، أو بنى الله عزوجل له بهن بيتاً في الجنة ، فقالت أم حبيبة : فما برحت أصليهن بعد ، وقال عمر وبرحت أصليهن بعد ، وقال النعمان : مثل ذلك [2] .

وأفادت أم حبيبة ، أنها سمعت من الرسول صلى الله عليه وسلم : "إنه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوجه أربعة أشهر وعشراً " [3] . وامتثالاً لهذا القول ، فإنه وبعد مرور ثلاثة أيام من وفاة والدها أبو سفيان رضي الله عنه ، دعت بطيب وعطرت به خديها قائلة : والله مالي بالطيب حاجة غير أنني أستعملها حتى لا يتم اعتبار ذلك زيادة على الأيام المسموح بها للحداد . كما روت أم حبيبة رضي الله عنها عدداً من الأحاديث المذكورة في كتب الأحاديث الصحيحة ويبلغ عددها حوالي ٦٥ حديثاً . كما أن عدد الرواة عنها كثير أيضاً [4] .

وفاتها :

توفيت أم حبيبة رضي الله عنها في عهد أخيها ، معاوية بن أبي سفيان ، عام ٤٤ ه ، وهي تناهز من العمر ٧٣ عاماً . عن عائشة رضي الله عنها قالت : دعتني أم حبيبة عند موتها فقالت : " قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، فتحللينى من ذلك ، فحللتها واستغفرت لها ، فقالت " سررتني سرك الله ، وأرسلت إلى أم سلمة بمثل ذلك [5] .

---

١ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٥٠٩-

٢ مسند أحمد ، ج٦ ، ص ٣٢٧.

٣ صحيح البخاري ، ج ٢، ص ٨٠٣.

٤ سيرت امهات المؤمنين ، مولانا محمد اسحاق بهتي ، مكتبة الفهيم ، ص ٤٩.

٥ سيرت عائشة رضي الله عنها ، العلامة سيد سليمان الندوي ، ص ٧.

خلاصة البحث :

إن كل هذا العمل النبيل الذي قامت به أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها في سبيل إحياء دين الإسلام وما تعرضت له في سبيله من مشاكل في التمسك بهذا الدين القويم لدليل على أنها كانت من خيرة النساء ، وأنها كانت تستحق بكل تقدير هذه الدرجة والمنزلة الرفيعة التي منحها الله عزوجل إياها حيث جعلها تتشرف بلقب أم المؤمنين ، وهذا ليس إلا عبارة عن مدى حبها وارتباطها الوثيق بهذا الدين قولاً وفعلاً .

وفي الختام ، نوصي شبابنا وشاباتنا ان يقتدوا بأم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها في كل أمور حياتها فهي الأم وهي الزوجة وهي الحكيمة الراشدة وهي المرأة الطموحة وهي العون في ملمات الحياة فيا شبابنا وشاباتنا كونوا كأمنا حبيبة في خلقها وعقلها وحكمتها واحتذوا حذوها واجعلوا سيرتها نصاب أعينكم وسيروا على هديها فهي نعم المثل أن يقتدى وخير دليل يجتبى .

المراجع والمصادر :

١. امام احمد ، مسند احمد بن حنبل ، مطبعة ميمنية ، مصر ١٣١٣هـ ، ١٨٩٥م .
٢. حافظ ابن حجر عسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩١٠م .
٣. محمد بن عبد الباقي زرقاني ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، دار الطباعة مصر ، ١٢٩١هـ .
٤. الشيخ شبلي النعماني ، سيرة النبي ، المجلد الثاني ، دار المصنفين شبلي اكيڈمي ، اعظم غراه ، ٢٠١١م .
٥. العلامة سيد سليمان الندوي ، سيرت عائشة رضي الله عنها ، دار المصنفين شبلي اكيڈمي ، اعظم غراه ، ٢٠١٠م .
٦. أنوار أحمد أعظمي خيرآبادي ، أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، عام ٢٠٠٨م .
٧. محمد ريحاوي ، سلسلة قصص أمهات المؤمنين للصغار واليافعين ، النادي العربي ، دار المعارف ، ديوبند ، ٢٠١٢م .
٨. مولانا محمد اسحاق بهتي ، سيرت امهات المؤمنين ، مكتبة الفهيم ، ٢٠١١م .
٩. مجلة البعث الإسلامي ، مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ، لكناؤ المجلد ٤٦ ، العدد التاسع ، يوليو ٢٠٠١م .

❖❖❖

ثقافة الاعتذار من أخلاقيات المسلم

الأخ محمد علي الوافي *

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدى الرسول الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، أما بعد .

إنَّ الاعتذارِ مظهر حضاريّ ، يدلّ على احترام الإنسان لنفسهِ ، وتقديره لغيرهِ ، فلاَ ينبغِى لعاقل أنْ يتعالَى عنْهُ ، لأنه من شيم الكبار ، وخلقٌ من أخلاق الأقوياء ، وعلامةٌ من علامات الثقة بالنفس التى لا يتّصف بها إلا الكبار الذين لديهم القدرة على مواجهة الآخرين بكل قوةٍ وشجاعة وأدب . فقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : "أعقل النّاس أعذرهم لهم"[1] .

معنى الكلمة

اعتذر فلان : صار ذا عذر ، وـ إليه : طلب قبول معذرته . ويقال اعتذر من ذنبه ، واعتذر عن فعله : تنصّل واحتج لنفسه . وـ فلان صار ذا عذر . وـ من فلان : شكاه . وـ العمامة : أرخى لها عذبتين من خلف[2] .

الاعتذار من الأخلاقية النبوية :

ولقد قدم إله الكون عزوجل حياة الأنبياء والرسل قدوة لمن يتبعونهم من المسلمين ، ولم يدع الباري سبحانه مرافق حياتهم فيها صورة من صور ، حري أن يقتدى بها ، إلا وصوّرها في أروع صورة وحض على اتباعها . وكذلك ذكر القرآن الكريم أمثلة كثيرة لاعتذاراتِ الأنبياءِ

* الباحث بمركز الدراسات العربية والإفريقية / جامعة جواهرلال نهرو- نيودلهي .
muhammadaliwafy@gmail.com .

[1] تاريخ المدينة ٤٠٩/١ ومدارة الناس ٤٩/١ .

[2] صفحة ٥٩٠ ، المعجم الوسيط .

والرسلِ واستغفارهم وتوبتهم لله تعالى ، وهم أرفع الناس مقاما ، وأعلاهم درجة ، ترسيخا لهذا السلوك العظيم في قلوب المؤمنين .

ها هو ذا نبي الله آدم وزوجه حواء عليهما السلام يعتذران لربّهما جل وعلا ، قال تعالى حكاية عنهما : قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ[1] فقبل الله اعتذارهما ، وتاب عليهما ، قال سبحانه : فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ[2] واعتذر نبي الله نوح عليه السلام لربه ، وطلب المغفرة منه تعالى فقال : رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ[3] كما اعتذر نبي الله موسى عليه السلام لربه وطلب المغفرة منه تعالى قائلا : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ[4] واعتذر نبي الله يونس عليه السلام لربه وهو في بطن الحوت ، فقال ﴿لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ[5]

وأشار القرآن الكريم إلى خبر الصحابي الكفيف عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه ، إذ جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله علمني ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد من كفار قريش يدعوهم للإسلام ، ويرجو بإسلامهم خيرا كثيرا ، فطلب منه النبي صلى الله عليه وسلم التمهل حتى يفرغ من سادة قريش ، فألح عبد الله ، فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فأنزل الله سبحانه عليه : عَبَسَ وَتَوَلَّى ❖ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ❖ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ❖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى[6] فكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما لقيه قال له : " مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي "[7] .

ومن أروع الأمثال عن سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها تراجعه عما كان يظن أنه لا ضرورة لتأبير نخل قوم ، فأشار بعدم

---

١ رقم الآية ٢٣ سورة الأعراف
٢ رقم الآية ٣٧ سورة البقرة
٣ رقم الآية ٤٧ سورة هود
٤ رقم الآية ١٦ سورة القصص
٥ رقم الآية ٨٧ سورة الأنبياء
٦ سورة عبس :١ - ٤ .
٧ تفسير القرطبي ٢١٢/١٩ .

تأبيرها. ثم قال بعد ذلك :"إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه ، فإني إنما ظننت ظنًا ، فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدّثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله عزوجل"[1]

مكانته في الدين :

فإن ما يقابله في الثقافة والتربية الإسلامية هو"التوبة" باعتبارها مصطلحا إيمانيا مرتبطاً بالمعاصي أو التقصير في حق المولى عز وجل ، إلا أنها تشمل مصطلحات الاعتذار المتعلقة بحق الناس والمجتمع ، وتشمل شرط الندم على المعصية والمراجعة الذاتية والاعتراف بالخطأ والإقرار به ، والرجوع عنه . وإذا كان الاعتذار بهذا المعنى تصرفا نبيلا وكريما وحسنا وله كل هذه العواقب الطيبة والنتائج الحسنة على الفرد والمجتمع، فإن الأنبل منه والأحسن أن نحذر من الوقوع فيما يجعلنا مضطرين إليه ، ونتحاشى ما أمكن ، الوقوع في الخطأ ،

كما أوصى بذلك المربي الكبير رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه : ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدًا[2] " فإن زلت قدمك مرة فإنه لا حليم إلا ذو عثرة ، ولا حكيم إلا ذو تجربة . ولاشك أن كل أقدام بني البشر معرضة للزلل وكل النفوس مهيأة للعثر ، وليس بينهم معصوم إلا الأنبياء ، وهي حقيقة ثانية في التصور الإسلامي . الكل يخطئ ويصيب ، وخيرهم من يعترف بخطئه ، ويقر به ، ويعتذر عنه ، ويعمل على إصلاحه ، بدليل الحديث الشريف الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة دالة على المبالغة لكثرة الوقوع فيه :"كل ابن آدم خطّاء و خير الخطائين التوابون"[3] وفي حديث آخر"المؤمن رجاع" أي يرجع إلى الحق إذا تبين له وجهه . لأن الله سبحانه وتعالى يغفر الأخطاء والذنوب كلها لقوله تعالى "قل يا عبادي

---

[1] رقم الحديث، ٦٢٧٥/ باب وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا دُونَ مَا ذَكَرَهُ - صلى الله عليه وسلم- مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، صفحة: ٩٨/ الجزء ٧: الكتاب صحيح مسلم

[2] رواه أحمد وابن ماجه

[3] صفحة ٢٧٢، جزء ٤ . الكتاب : المستدرك على الصحيحين للشيخ محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري رحمه الله .

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم"[1] ولقوله سبحانه "والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون"[2] ، والخطأ الوحيد الذي لا يغتفر هو الشرك بالله "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا "[3] .

لماذا الاعتذار؟

والجواب لهذا السؤال جلي فيما ذكر من الأمثلة ، لأن المسلمين مأمورون بقدوة أنبيائهم ، وهؤلاء مع علوّ مكانتهم في الدين لم يتساهلوا في شأن الاعتذار ، والمعتذرون إنما يعترفون لغيرهم حقوقهم ومكانتهم الإنسانية ، لأن النفس الإنسانية هي أمارة بالسوء ، وهي أكثر عرضاً للوقوع في المناهي والشبهات ، فالمؤمن لا يكون مؤمناً إلا إذا طلب العذر ، والتسامح ممن وقعت عليهم عثراته . وإليه يشير قول التابعي الجليل عبد الله بن المبارك رحمه الله ، حيث قال"المؤمن طالب عذر إخوانه ، والمنافق طالب عثراتهم "[4]

والناس على ثلاثة أنواع :

ينقسم الناس في تقديم اعتذارهم الى ثلاثة أصناف :

الأول : هم المعتذرون بالسرعة ، لأنهم يقومون بمراجعة النفس مباشرة عند وقوع الخطأ الغير المقصود أو السلوك السلبي عند حالة الغضب ، وهؤلاء هم أفضل درجة مما سواه ، لأنه لاتمنعهم عزة النفس والمكابرة عن القيام بطلب العذر .

الثاني : هم المعتذرون بعد مراجعة النفس بعد تأخر ما ، لأن المخطئ بعد أن يقضي حالة مراجعة للموقف ومحاكاة النفس ، حيث تلومه نفسه اللوامة بما قام بها من العثرات ، وقد يبدى اعتذاراً رسمياً أو

---

[1] رقم الآية ٥٤ سورة الزمر
[2] رقم الآية ١٣٥ سورة آل عمران
[3] رقم الآية ١١٦ سورة النساء
[4] صفحة ٧ الجزء ١ الكتاب : آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، المؤلف : أبو البركات الغزي

يدبر موقفا غير مباشر ليبين رغبته في تصحيح سلوكه ، ومع ذلك يجتهد أن يلمز إلى خطإ أخيه .

الثالث هم الذين نراهم في مجتمعاتنا ، وهؤلاء يدركون تماما حجم أخطائهم ، لكنهم يكابرون ويتعنتون على الحق ويمتنعون عن الاعتذار ، ونراهم يبرّرون مواقفهم . والنوع الثالث من الناس يعانون من ضعف الشخصية ، وعدم القدرة على مواجهة المواقف ، ونستطيع أن نصفهم بـ " المغرورين " .

فوائد الاعتذار:

الأول : إن الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه يشكل رادعاً للإنسان عن تكراره ، لأن الإقدام على هذه الخطوة يكتنفها ضغط وعناء نفسي، فليس سهلا على الإنسان أن يقف موقف الإقرار والاعتذار من الآخرين ، فهو نوع من العقوبة الاختيارية التي يفرضها الإنسان على نفسه، مما يخلق لديه حساسية وحذرا من الوقوع في حالة مشابهة ، ويجعله يعيد النظر في الأسباب والعوامل التي أوقعته في الخطأ ، وذلك سبيل لإصلاح النفس ومعالجة سلبيات السلوك . بعكس ما إذا مرّ الإنسان على خطئه مرور الكرام ، ولم يشعر بأي مضاعفات أو نتائج مؤذية ، فقد يستهين بالأخطاء حينئذ ، ويستسهل ارتكابها .

الثاني : وهو محاولة لإصلاح الخلل الذي أحدثه الخطأ ، وتدارك مضاعفاته على الآخرين ، كما يشكل نوعاً من إعادة الاعتبار لمن وقعت عليه الإساءة ، وأداء لحقه . وقد ثبت في الحديث "الاعتراف يهدم الاقتراف"[1] .

الثالث : والاعتذار ينزع فتيل الغضب من نفس الطرف الآخر ، ويطفئ نار العداوة ، ويحتوي الأزمة والتشنج . إن أكثر النزاعات والخصومات المترتبة على تصرفات خاطئة يمكن حلها وتجاوزها عن طريق كلمة اعتذار رقيقة ، تشيع في نفس الطرف الآخر الرضا ، وتشعره بإعادة الاعتبار .

الرابع : ولا يسود هذا الخلق الحضاري الرفيع إلا عبر المبادرة

---

[1] صفحة: ٣٢٢ ، جزء: ٦ الكتاب : شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله .

لممارسته من قبل الواعين الناضجين ، إن التزام أي فرد به وخاصة إذا كان في منصب رفيع ، يشجع الآخرين من حوله على التخلق به ، فإذا رأى الأبناء شجاعة أبيهم في الاعتذار إليهم عن زلل صدر منه تجاههم ، فإنهم سيقتدون به في تعاملهم مع الآخرين . وإن كل من يتمنى ويرغب أن يتعامل معه الآخرون بهذا الأسلوب المريح ، عليه أن يبادر هو بانتهاجه مع الآخرين ، ليترسخ كمبدأ في العلاقات الاجتماعية ، وكقيمة أخلاقية سامية .

الخامس : الفوز برضوان الله والأمن من عقابه يوم القيامة ، وذلك بالتخلص من حقوق الناس وظلاماتهم ، حيث تؤكد النصوص الدينية ، أن الله تعالى لا يتساهل في حقوق الناس على بعضهم البعض ، كما روي عن رسول الله : "أما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا ، القصاص لا محالة"[1] . وتشير عدة أحاديث مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى أن أصحاب المظالم والحقوق يأخذون من حسنات الإنسان يوم القيامة ، حتى إذا انتهت كل حسناته توضع عليه من سيئاتهم مقابل حقوقهم عليه . إن بإمكان الإنسان أن يتخلص من كثير من الظلامات عبر لحظة اعتراف ، وكلمة اعتذار ، فيوفر على نفسه العناء والعذاب الشديد يوم القيامة .

الاعتذار وتطبيقه في الأسرة المسلمة :

يعد الاعتذار أحد السلوكيات الإيجابية التي يجب تطبيقها في الأسرة المسلمة لينتشر الحب بين أفرادها ، إذ يعمل الاعتذار على مد جسور الثقة والتعاون التي هدمت بسبب إحدى التصرفات السيئة أو غير المقبولة التي يقوم بها أعضاء الأسرة ، فما أجمل أن تنتشر ثقافة الاعتذار في بيوتنا ، ولو طبقنا نحن المسلمين هذه الشيمة الحضارية بعزم ونية صادقة في أسرتنا ، لداوت القلوب المكسورة والكرامة المجروحة ، ولأصلحت العلاقات المتصدعة ، ولأذاب الغضب المتحكم في الأفئدة . وعلى كبار العائلة ، سيّما على الأبوين أن يكونا قدوة لأولادهما في الاعتذار والعفو والتسامح ، والحبّ والتصالح .

[1] صفحة ٦١٩/ جزء ٤، الكتاب : المستدرك على الصحيحين للشيخ محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري رحمه الله .

الاعتذار وأثره في العلاقة الزوجية :

فلماذا غابت مفردات الاعتذار من معاجم الأزواج ؟ مع أنها أطيب للقلب ، وأدعى إلى وطد العلاقة الزوجية ، ولماذا يشعر كلا الطرفين دائما أنه هو على الحق والآخر على الخطأ ؟ وإذا كان الاعتذار يعد مطلبا لدوام أية علاقة ، فما بال العلاقات الزوجية التي تنمو وتقوى بالمودة والرحمة والتسامح ، فعلى الزوجين كليهما ألا يقف لصاحبه بالمرصاد ليتصيد أخطاءه وتقصيراته ، ولو بدر من أحدهما ما يدعو للاعتذار ، وسرعان ما يطبقان هذه الشيمة العظيمة في علاقتهما فيعتذر الزوج لزوجته ، وتعتذر الزوجة لزوجها ، وذلك بكلمة تبعث في نفس الطرف الآخر الرضا والقرار ، وتشعره بإعادة الاعتبار ، وتوثق بينهما عرى المحبة والاستقرار .

والاعتذار سلوك حضاري بين الناس عامة والزوجين خاصة فأغلب الرجال يقاومون الاعتذار ولا يحبون الاعتراف بالخطأ ، إذ يعتبرون لحظة الاعتذار من أصعب اللحظات في حياتهم . فالزوج الذي يخطئ عليه أن يسعى بدافع من شعوره الراقي أمام زوجته بالاعتذار ، والذي يرفض الاعتذار لزوجته يعد مريضاً نفسانياً ، فإن الشخص الذي يرفض الاعتذار يصبح بغيضاً في نظر الآخرين ، وهذا ما يؤكده الدكتور كود وول المتخصص في العلاقات الزوجية بقوله : "معظم الرجال يشعرون بأن قدراً كبيراً من هيبتهم سيضيع إذا قدموا اعتذاراً أو اعترفوا بخطأ"[1] .

ومن جانب المرأة أن تعلم أن المرأة عرضة للتقصير في حق زوجها مهما حرصت ، فكيف هي إذا أهملت أو غفلت عن هذا الحق ؟ ، ولذلك فمن أعظم الأساليب التي تعوض بها هذا التقصير ، الاعتذار للزوج ، والرجوع إليه عند الخطأ ، ومن المعترف عند الرجال أن أحلى كلمة يسمعها الرجل من زوجته ، هي عندما تعتذر إليه مهما كان الخطأ . وهذا ليس إذلالاً للمرأة كما تتصوره بعض النساء ، ولا تكبراً من الرجل كما يصوره الشيطان وأعوانه ، فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود

[1] السيد سحر فؤاد أحمد ، مقالة / الاعتذار يحطم الأسوار ، موقع الألوكة (www .alukah .net).

على زوجها التي إذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول والله لا أذوق غمضاً حتى ترضى "[1] . قال المناوي في فيض القدير : فمن اتصفت بهذه الأوصاف منهن ، فهي خليقة بكونها من أهل الجنة ، وقلما نرى فيهن من هذه صفاتها.[2]

ويؤكد الخبير الاجتماعي الدكتور أحمد المجدوب أن الرجولة تحتم على الزوج أن يعتذر إذا أخطأ في حق زوجته أو أي شخص آخر ، فالرجولة تعني الصدق والشهامة . وعندما يعتذر الرجل فإنه لا يسقط من عين زوجته أو يهون أمره عليها ، بل ترتفع قيمته في نظرها ويعلمها درساً في الأمانة والشهامة واحترام الذات ، والاعتذار ليس ضعفاً بل الضعف أن تخفي خطأك وتظل تكابر ، أما الرجل الذي يثق بنفسه ويحترم ذاته فإنه لا يجد غضاضة في أن يعتذر ووقتها سوف يصبح قدوة لزوجته[3] .

وخلاصة ما ذكرناه من أقوال علماء النفس جلي فيما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه قال لزوجته أم الدرداء رضي الله عنها "إذا غضبتِ أرضيتُكِ ، وإذا غضبتُ فأرضيني ، فإنكِ إن لم تفعلي ذلك فما أسرع ما نفترقُ[4] .

قبول الأعذار:

أن يقدم المخطئ اعتذاره ، تلك خطوة رئيسية هامة لتجاوز الخصام و تحقيق الوئام ، لكنها يجب أن تقابل بخطوة إيجابية من الطرف الآخر ، وهي قبول الاعتذار والصفح عن الإساءة ، لتكون ثمرة الإصلاح والود يانعة ناضجة . وقبول الأعذار من أخلاقية المسلم التي وصفه الباري سبحانه في محكم تنزيله "والكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و الله يحب المحسنين"[5] .

---

١ صفحة ٣٦١/ جزء ٥ ، الكتبا: السنن الكبرى للنسائي رحمه الله

٢ صفحة ١٥ جزء ٦ الكتاب : دروس للشيخ إبراهيم الدويش، المؤلف : إبراهيم بن عبد الله الدويش

٣ السيد سحر فؤاد أحمد، مقالة / الاعتذار يحطم الأسوار، موقع الألوكة (www .alukah .net)

(٤) تاريخ دمشق ١٥٢/٧٠ .

٥ رقم الآية ١٣٤، سورة آل عمران .

ومع اتصاف الكبار بهذا الخلق العظيم وهذا السلوك الإيجابى من تقديم الاعتذار والاعتراف بالخطأ متى بدر منهم ، فهم كذلك يبادرون لقبول الأعذار من المخطئين في حقهم ، فلا تعالىَ ولا بطرَ ولا أشرَ، بل مسامحة وعفوٌ وطيب خاطر ، وهم بذلك يقدّمون درسا عمليّا للناس ، فقبول الاعتذار بهذه الصورة يحضُّ الناس على الاعتذار متى أخطأوا ؛ لأن الإصرار على الملامة والعتاب وتسجيل المواقف لإحراج المعتذرين يجعلهم يُصرّون على الخطأ ويأبون الاعتراف به .

ومنها قبول العذر من فاعله ، صدق أو كذب؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من اعتذر إليه أخوه المسلم ، فلم يقبل عذره ، فعليه مثل صاحب مكس"[1] .

وقد أحسن الشاعر :

أَقبَل مَعاذيرَ مَن يَأتيكَ مُعتَذِراً ... إن يَروِ عِندَكَ فيما قالَ أَو فَجَرا
فَقَد أَطاعَكَ مَن أَرضاكَ ظَاهِرُهُ ... وَقَد أَجَلَّكَ مَن يَعصيكَ مُستَتِرا

خاتمة :

إنّ الاعتذار شجاعة لا تقلّل من قيمة المرء ، بل تزيده مكانة ورفعة ، ولو كان من أب لابنه ، أو أستاذ لطالبه ، أو زوج لزوجته ، فهذه مروءة وشهامة ونبل وكرامة ، وإنّ المسلم الحقيقي هو الذي يقيّم نفسه باستمرار ، وإن أدرك أنّه أساء أو قصّر في حقوقه ، بادر بالاعتذار ، فإنّ حسن الاعتراف يهدم الاقتراف ، وإنّ التراجع عن الخطإ بالاعتذار ، خير من التمادي في الباطل بالاستكبار ، ومن أنصف الناس من نفسه ، لم يزده الله تعالى إلا عزّا ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممّن إذا ذكّر تذكّر، وإذا أساء استغفر ، وإذا أخطأ اعتذر ، وإذا اعتذر له قبل وغفر ، وأن يوفّقنا جميعا لطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

[1] صفحة:٦٧/ جزء:٦ الكتاب : إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري

الفقه الإسلامي

قواعد وضوابط لترشيد الإنفاق والاستهلاك

(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي (لكناؤ)

ينبغي لنا قبل الخوض في صلب الموضوع أن نحدد مفهوم كل من الترشيد والإنفاق والاستهلاك؛ لأن تحديد المفهوم يؤدي إلى الفهم السليم ، حيث إن الألفاظ هي قوالب المعاني ، فإذا ماوضع اللفظ في غير موضعه أدى إلى الخطأ .

أولاً : الترشيد

أ- الترشيد لغة :

الترشيد في اللغة مأخوذ من الرشد ، وهو الصلاح والهدى ، خلاف الغي ، يقال : رشده القاضي ترشيدا أي جعله رشيداً ، والرشيد نقيض الضلال ، إذا أصاب وجه الأمر والطريق[1] .

يبدو مما سبق أن معنى الرشد في اللغة : الصلاح والاستقامة وإصابة الصواب .

ب- الترشيد اصطلاحاً :

عرف الترشيد في الاصطلاح بأنه : " حسن التصرف في المال من الوجهة الدنيوية ، ولوكان فاسقاً من الوجهة الدينية " [2] .

كما عرف بأنه (القدرة في تدبير الأموال وحسن استثمارها دنيوياً ودينياً) [3] .

يتبين من التعريفين السابقين أن الترشيد في الاصطلاح هو دراية كافية في استخدام الأموال من الناحيتين الدنيوية والدينية ، سواء كان ذلك في استثمار الأموال أو في إنفاقها واستهلاكها ، وهو أمر يختلف

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٢١٩/٥ مادة رشد ، القاموس المحيط للفيروز آبادى ٣٠٥/١ فصل الراء باب الدال، مختار الصحاح للرازى ص ١٥٠.

(٢) انظر: مجلة الأحكام العدلية، مادة ٩٤٧، الفقه الإسلامى وأدلته ١٢٥/٤

(٣)انظر: القوانين الفقهية ص ٣٤ المهذب ٣٢٨/١، معجم المصطلحات الاقتصادية ١٤٤

باختلاف الأشخاص والبيئة والثقافة وغيرها .

ثانياً : الإنفاق

أ- الإنفاق لغة :

الإنفاق مشتق من "نفق" النون ، والفاء ، والقاف ، أصلان صحيحان، يدل أحدهما - وهو ما يعنينا هنا - على انقطاع شيء وذهابه .

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) - كقاعدة عامة - " وكل ما جاء مما فاؤه نون ، وعينه فاء ، فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك"[٤] .

وهو مصدر من أنفق ينفق إنفاقاً ، والاسم منه " النفقة " وهي ما ينفق والجمع " نفقات " و " نفاق " - بكسر النون - كرقبة ورقاب وله عدة معان :

أ - الرواج : يقال : أنفق القوم : نفقت سوقهم أي راجت ، وأنفق التاجر : راجت تجارته .

ب - الإفناء ، والإنفاء ، والصرف : يقال : أنفق القوم : أفناه وأنفده وصرفه .

ج - الانقطاع : يقال أنفق فلان : افتقر وذهب ما عنده [٥] .

ويبدو من بيان أهل اللغة لمعنى الإنفاق أن أصل هذه الكلمة يدل على ذهاب الشيء وانقطاعه ورواجه ، وأن هذا المعنى متحقق في جميع استعمالات هذه الكلمة .

ب - الإنفاق في الاصطلاح :

عرف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) الإنفاق بأنه : " صرف المال إلى الحاجة "[٦].

وهذا التعريف غير جامع لأفراد المعرف ، وذلك لأنه لا يشمل صرف المال إلى غير الحاجة ، كما أنه غير مانع لأنه يدخل فيه ما يصرف في غير ما أحله الله .

ولذا فإننا نحتاج إلى تعريف جامع مانع ، ويمكننا أن نعرف الإنفاق

---

(٤) الكشاف للزمخشري ١٣٣/١.

(٥) انظر : لسان العرب لابن منظور مادة "نفق" ٣٥٧/١٠ – ٣٥٨، القاموس المحيط فصل النون باب القاف ٢٨٦/٣، معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص ١٠٣٨ – ١٠٣٩، أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٤٨ – ٩ ٦، المصباح المنير للفيومي ١٦١٨/٢.

(٦) التعريفات ص ٧٥ .

بأنه : " إخراج المال فى كل ما أحله الله " .

شرح التعريف : لفظ الإخراج : يشمل جميع ما يخرج من حوزة الإنسان إلى آخر ، سواء أكان ذلك بعوض أم بغير عوض ، وسواء بطريق الوجوب أم التطوع .

حيث إن الإنفاق قد يكون في شئون الحياة وتحصيل المطالب فيها ، وقد يكون لقاء شيء يناله المنفق ، وقد يكون لتنمية المال وزيادته، وقد يكون بذل المال فى سبيل الخير رجاء ما عند الله من الثواب [٧] ، فكل هذه الأشياء يشملها لفظ الإخراج .

وكلمة " المال " يراد بها ما له قيمة بين الناس ، ويباح الانتفاع به شرعاً .

أما القول : " في كل ما أحله الله " فيراد به كل المجالات التي أحل الله الإنفاق فيها ، ويخرج به جميع المجالات التي حرم الله تعالى ، الإنفاق فيها ونهى عنها .

ثالثاً : الاستهلاك

أ- الاستهلاك لغة :

الاستهلاك في اللغة إهلاك الشئ وإفناؤه ، يقال : استهلك الماء إذا صرفه في الشرب والسقى ولم يبق منه شيئاً ، واستهلك المال ، أى أنفقه وأنفده ، واستهلكت الآلة ، إذا ذهبت منافعها بالعمل والإنتاج [٨] .

ب- الاستهلاك اصطلاحاً :

يعرف الاستهلاك في الاصطلاح بأنه " تصيير الشئ هالكا أو كالهالك – مثل الثوب البالى - أو خلطه بغيره بحيث لايمكن إفراده بالتصرف كاستهلاك السمن في الخبز " [٩] .

إلا أنني أرى أن يقال في تعريف الاستهلاك بأنه " إتلاف عين – بإفنائها أو بإذهاب منافعها - في تحصيل منفعة " .

---

(٧) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٧٤٩/٢.

(٨) انظر: لسان العرب لابن منظور ١١٧/١٥- ١١٩ مادة هلك، القاموس المحيط للفيروزآبادي ٣٣٥/٣ فصل الهاء باب الكاف، المصباح المنير للفيومى ٧٨٨/٢، المعجم الوسيط ١٠٣٢/٢

(٩) انظر: بدائع الصنائع للكاساني ٩٤١٦/٩، تبيين الحقائق للزيلعى ٧٨/٩، المغنى لابن قدامة ٢٨٨/٥.

وإنما قلنا " إتلاف عين " لأن لمعنى الاستهلاك صلة قوية بمعنى الإتلاف والفناء ، إذ شأن كل ما يستهلك مصيره إلى الفناء والنفاد .

وكذلك قلنا " في تحصيل منفعة " لأن المنفعة قد تحصل وقد لا تحصل ، وحسبنا أن العين تلفت بقصد تحصيل المنفعة ، وعلى هذا فإن كثيرا من الآلات قد تستهلك في تجارب ، ثم تخفق هذه التجارب كلها ، وكثيرا من المواد تستهلك في تركيب أو تصنيع شيىء ثم تخفق الصنعة .

قواعد وضوابط لترشيد الإنفاق والاستهلاك :

يقصد بالإنفاق عملية استخدام المال فيما تتحقق به مصلحة الفرد والجماعة وفقا لمعايير الشريعة الإسلامية . وهذه المصلحة إما أن تكون خاصة فيتولى الأفراد مهمة الإنفاق والاستهلاك عليها ، وإما أن تكون عامة فتتولى الدولة هذه المهمة ، ومن ثم يكون لدينا نوعان من الإنفاق والاستهلاك ، أحدهما خاص والثاني عام ، وكلاهما يتعرض للترشيد ونقيضه ، وبالتالى نكون في حاجة إلى ضوابط لإنفاق المال واستهلاكه حتى لا يتجاوز الإنفاق والاستهلاك بما هو متاح فعلاً من مقدار الدخل والثروة ، ولكي يحقق الإنفاق والاستهلاك أكبر قدر ممكن من المنافع بأقل كلفة ممكنة .

وقوام هذه الضوابط يتمثل في أن المنهج الإسلامي يتدخل في تحديد ما تُعد حاجة فيستحق أن ينفق على إشباعها ، وما لا تُعد حاجة فلا يستحق أن ينفق على إشباعها ، والحاجات الإنسانية متعددة عند كل مستوى من الضروريات[10] والحاجيات[11] والتحسينات[12] تنتظم في شكل مصفوف يتم

---

(١٠) هي التي تتوقف عليها حياة الناس الدينية أو الدنيوية، بحيث إذا فقدت اختلت الحياة في الدنيا، وشاع الفساد وفات النعيم وحل العقاب في الآخرة، ومجموع الضروريات خمسة : الدين، والنفس، والنسل ، والمال والعقل، انظر: الموافقات ٨/٢ - ١٠ ، أصول التشريع الإسلامي للشيخ علي حسب الله ص ٣٣٤، أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ص ١٠٢٠.

(١١) هي التي يحتاج إليها الناس للتيسير عليهم ، ورفع الحرج عنهم ، وإذا فقدت لا يختل نظام حياتهم كما في الضروريات ، ولكن يلحقهم الحرج والمشقه ، مرتبتها بعد الضروريات انظر : المراجع السابقة : ١٠/٢ - ١١، ص ٣٣٥ ، ص ١٠٢٢.

(١٢) وهي التي تقتضيها المروءة ، ويقصد بها الأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق ، وإذا فقدت لا يختل نظام الحياة كما في الضروريات ولا ينالهم الحرج

الانتقال فيه من مستوى إلى آخر بالنسبة لكل حاجة إنسانية وفق أولوياتها ، ووفقاً للظروف والمعطيات التى يعيشها المجتمع .

ويتلخص موقف المنهج الإسلامي في هذا الخصوص في إيجاب الاعتدال والتوسط الذي هو موقف بين طرفين محرمين ، حيث يقول القرآن الكريم وصفاً لسلوك الملتزمين بالمنهج الإسلامي : [والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما](١٣) .

توضح هذه الآية أن هناك ثلاثة مستويات في الإنفاق والاستهلاك لدى الأفراد أو الدولة ، ولكل مستوى منها حد معين في الإنفاق والاستهلاك :

[١] مستوى التقتير الذي يقف بحد الإنفاق والاستهلاك عند مستوى أقل من المطلوب .

[٢] ومستوى الإسراف الذي يتجاوز بحد الإنفاق والاستهلاك المستوى الملائم .

[٣] ومستوى الاعتدال والتوسط ، الذي يتجاوز المستوى الأول ولا يصل إلى المستوى الثاني وهو المستوى الذي يهدي إليه المنهج الإسلامي ويسعى إلى وصول أهله إليه وإثباتهم عليه .

فضوابط الإنفاق والاستهلاك للفرد والمجتمع والدولة يحكمها المنهج الإسلامي عن طريق الحكم على كل مستوى من المستويات الثلاثة السابقة، إما بالوجوب وإما بالحرمة ، فهو يحكم على المستوى الأول "مستوى التقتير" بالحرمة ، كما يحكم على المستوى الثاني منها بالحرمة أيضا [ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا](١٤)

ويحكم على المستوى الثالث " مستوى التوسط والاعتدال بالوجوب " [وكان بين ذلك قواما] (١٥)

فلدينا إذن ضوابط ثلاث يضعها المنهج الإسلامي لضبط الإنفاق

كما في الحاجيات ولكن تأنفها العقول الراجحات ، فهي تأتي في المرتبة الثالثة، انظر: المراجع السابقة : ١١/٢، ص ٣٣٥، ص ١٠٢٣.

(١٣)سورة الفرقان الآية ٦٧.

(١٤) سورة الإسراء الآية ٢٩.

(١٥) سورة الفرقان من الآية ٦٧.

والاستهلاك ، وترشيدهما تتمثل في :

أولاً : تحريم التقتير .

ثانيا : تحريم الإسراف .

ثالثا : وجوب الاعتدال .

وسنتناول - بعون الله تعالى- هذه الضوابط فيما يلي :

أولاً : تحريم التقتير :

التقتير في اللغة : هو التضييق في النفقة عما ينبغي يقال : قتر الرجل على عياله ، أي : ضيق عليهم في النفقة . وأقتر الله رزقه أى ضيقه وقلله [١٦] .

أما في الاصطلاح : فهو " التضييق فيما لابد منه ولا مدفع له مثل أقوات الأهل ومصالح العيال " [١٧] .

وقيل : هو حبس المال وتعطيل وظيفته [١٨] .

والتقتير محرم في الإسلام ؛ ذلك أن الإسلام لا يهدف إلى جعل حد الإنفاق والاستهلاك عند أدنى مستوى له وإنما يهدف إلى إشباع الحاجات الحقيقية للفرد والجماعة بما يحفظ للإنسان إنسانيته وطاقاته الفعالة .

نفهم من هذا أن الإسلام يرغب الإنسان في أن يعيش عيشة طيبة يتمتع فيها بما أُحِلَّ له من الطيبات ، ومباهج الحياة متعة معقولة ، فلا حرج على المسلم أن يأكل أطيب الطعام ، وأن يلبس أفخر الثياب ، وأن يركب أحسن المراكب ، وأن يسكن المسكن اللائق به ، وذلك كله بمقدار ما تسمح به ظروفه المالية سعة أو ضيقاً ، حتى يجد الحياة جميلة مشرقة ، لا قاتمة مظلمة ، قال الله تعالى : [قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون] [١٩] .

قال الرازي (ت ٦٠٦هـ) : " لفظ الزينة يتناول جميع أنواع التزين، ومنه تنظيف البدن ، ومنه الركوب ، ومنه الحلى ، يعنى للنساء " . ثم قال :

([١٦])انظر: لسان العرب مادة (قتر) ٥/٧٠- ٧١، معجم المقاييس في اللغة ص ٨٧٣، القاموس المحيط فصل القاف باب الراء ٢/١٣، المصباح المنير ٢/٤٩٠، مختار الصحاح ص ٢١٨.

([١٧])الإشارة إلى محاسن التجارة لأبى الفضل جعفر بن علي الدمشقي ص ٥٦.

([١٨]) مبادئ الاقتصاد الإسلامي د. نعمت عبد اللطيف مشهور ص٤٢.

([١٩]) سورة الأعراف الآية ٣٢.

يُدخل تحت الطيبات كل ما يستلذ ويشتهى من أنواع المأكولات والمشروبات، ويدخل تحته التمتع بالنساء وبالطيب "[٢٠].

و روى ابن مسعود - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر [٢١] الحق وغمط [٢٢] الناس " [٢٣].

وبهذا بين النبى - صلى الله عليه وسلم - أن العناية بالجسم غذاء ولباساً أمر حسن في ذاته ، إلا إذا ترتب عليه بغي وفساد وغمط للناس فإنه يحرم لذلك لا لذاته ، بل اللباس الجيد النظيف فيه حفظ لكرامة المتزين به في نفوس الناس ، وقبل هذا ففيه إظهار لنعمة الله عليه وشكر المنعم عليها ، والمؤمن يثاب بنيته الحسنة .

وأما لبس الخشن والبالى الذي يزري بصاحبه فليس محموداً ، لأن الله - سبحانه وتعالى - مطلع على السرائر يعلم ما يسره المرء ويكتمه ، فرثاثة الثوب في ذاتها لا تزيد الإنسان رفعة عند الله ، فضلا عن أن هذا المظهر يتضمن إظهار الزهد ويحمل عنوان الفقر ويعَدّ لسان شكوى من الله سبحانه وتعالى .

ولذلك قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما جاء إليه رجل وعليه ثوب درن متسائلاً هل لك من مال ؟ قال نعم . قال : من أي المال؟ قال : من كل المال من الإبل والرقيق والخيل ، قال : فإذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته " [٢٤].

([٢٠]) انظر: التفسير الكبير ٦٧/٤ بالاختصار.

([٢١]) البطر: الطغيان عند النعمة ، وقيل هو أن يتكبر عن الحق أن لا يقبله . انظر: النهاية لابن الأثير ١٣٥/١ .

([٢٢]) غمط الناس : الاحتقار لهم والازدراء بهم ، انظر : مختار الصحاح ص ٢٠١ ، النهاية ٣٨٦/٣.

([٢٣]) رواه مسلم في صحيحه (٩٣/١ - كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح ٩١) وأبو داود في سننه (٨٤/٤ - كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، ح ٤٠٩٢)، وأحمد في مسنده (٣٩٩/١ عن ابن مسعود).

([٢٤]) رواه النسائي في سننه (١٧٣/٨ - كتاب الزينة، باب ذكر ما يستحب من لبس الثياب وما يكره منه)، وأحمد في مسنده (٤٧٣/٣ ، ١٣٧/٤ عن أبي الأحوص عن

فقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، وطالبه أن يحسن هيئته ، ليظهر نعمة الله عليه .

وهكذا نرى أن الإسلام يوجب على المسلم أن ينفق ويشبع حاجاته التي أقرها ويحذره من الإمساك والشح [٢٥] والبخل . قال تعالى : [قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذن لأمسكتم خشية الإنفاق ، وكان الإنسان قتورا] [٢٦] . والإنفاق هنا الفقر ونفاد المال [٢٧] ، وقال سبحانه : [ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] [٢٨] . كما حذر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مغبة هذه الصفة فقال :"إياكم والشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا " [٢٩] . وفي رواية : " اتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم " [٣٠] ، وقال - عليه الصلاة والسلام- : "لا يجمع الشح والإيمان في جوف رجل مسلم " [٣١] .

أبيه)، والحاكم في المستدرك ١٨١/٤ - كتاب اللباس) ، وابن حزم في المحلى (٩٠/١٠ تحت مسألة رقم ١٩٢٢) . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٢٥) الشح : البخل " هو اسم من شح يشح شحا ، فهو شحيح. قال ابن الأثير: الشح أشد من البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص مع الحرص. وقيل: البخل في أفراد الأمور وآحادها ، والشح عام . وقيل : البخل بالمال ، والشح بالمال والمعروف . انظر : المصباح المنير ٣٠٦/١ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٤٨/٢.

(٢٦) سورة الإسراء الآية ١٠٠.

(٢٧) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير٧٦/٣.

(٢٨) سورة الحشر من الآية ٩ ، سورة التغابن من الآية ١٦.

(٢٩) رواه أبو داود في سننه (١٧٩/٢ - كتاب الزكاة، باب في الشح، ح ١٦٩٨)، وأحمد في مسنده (١٦٠/٢، ١٩٠، ١٩٥ عن عبد الله بن عمرو بن العاص)، والحاكم في المستدرك (١١/١، ١٢ - كتاب الإيمان) وفي (٤١٥/١ - كتاب الزكاة)، وابن أبي شيبة في المصنف (٩٧/٩ - كتاب الأدب، باب ما ذكر في الشح، ح ٦٦٥٨) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٣٠)رواه مسلم في صحيحه (١٩٩٦/٤ - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح ٢٥٧٨).

(٣١)رواه أحمد في مسنده (٤٤١/٢ عن أبي هريرة)، وابن أبي شيبة في المصنف (٩٧/٩ - كتاب الأدب، باب ما ذكر في الشح، ح ٦٦٥٩) .

دراسات و أبحاث

حيوانات جزيرة العرب ورياحها

بقلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

الإبل :

لا يمكن أن تعيش على أرض جزيرة العرب الجافة الوعرة إلا الحيوانات الخفيفة ، وبما أن الإبل تكون حيواناً كادحاً صبوراً ، وأكثر تحملاً لآثار الأراضي الصحراوية ، وفصولها الحارة ، من الحيوانات الأخرى ، فاختارها الناس في هذه المنطقة ، وظلت أكثر نفعاً لسكانها ، فلا يصلح هذا الحيوان إلا للصحراء ، ويكون فيها مركباً ، لأن أخفافها من اللحم المتراكم الذي يمنع الأرجل من أن تسوخ في الرمال ، ومن خصائصها أنها تصبر كثيراً وتتحمل الحرارة والجوع والعطش كثيراً ، ومنها أن في بطنها كرشاً ، تجمع فيه الغذاء والماء ، فتستعين بهما إذا اقتضت الحاجة إليهما ، ويكون على ظهرها سنام ، وهو مجموعة من الشحم ، فتنتفع به أيضاً في حالة الجوع .

يستخدم العرب الإبل في رحلاتهم الصحراوية ، وتكون نافعة لهم من جهات شتى ، تقطع الإبل في ساعة واحدة خمسة أو ستة أميال ، وفي أربع وعشرين ساعة تقطع عامة خمس عشرة ساعة متتالية في قطع المسافة ، وتستطيع أن تتحمل الجوع والعطش في الشتاء عشرة أيام ، وفي الصيف ستة أيام متواليات ، تعيش الإبل ثلاثين سنة ، ويكون ثمنها حسب قدرها ما بين أربع جنيهات إلى ثمانين جنيهاً ، وإن صوف الإبل جميل وناعم ، وإن إبل نجد وعمان وأصوافها أكثر نعومة وجمالاً وحسناً ، من صوف الذئب من كل ناحية ، وإن لبنها يكون أكثر قوة ومتكوناً من أخلاط مفيدة ، فلا يخرج منه السمن والزبد ، هذا هو السبب فيما إذا كان الشحم كثير الاستعمال لدى العرب ، فليست هنا كلمة مفردة للزبدة الخارجة من اللبن ، ويستعمل العرب الآن للزبد كلمة السمن ، ويُعرف الرجال الغلاظ والحيوانات الغليظة بالرجال السمناء والحيوانات السمينة ، وإذا بلغت الإبل التاسعة من عمرها سميت بازلاً ،

واستحكمت آنذاك جارحةً وقوةً ، فلا تتحمل الإبل فقط مشاق الصحراء، بل تملك قوة خارقة لمعرفة الطريق والبحث عن مواقع الماء أيضاً، وهي تعرف مواضع وجود الماء في داخل الأرض ، بقوتها الشامة ، والإبل حيوان يحمل الحقد ، فإذا غضب انتقم أشد انتقام، ولكنه يكون صالحاً وبسيطاً ، إن طفلاً صغيراً يمكنه أن يصرفه أينما شاء ، ويملكه بالضرب ، ويكو ن تابعاً له ، بحيث يمشي كل بعير على الخط الذي مشت فيه أول الإبل ، وتعتبر بساطتها وإطاعتها لكل واحد بعض الأحيان دليلاً على غباوته ، يقال : صار طويل القامة ولا يشعر بشيئ ، قال شاعر:

لقد عظم البعير بغير لب
فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه
ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى
فلا غير لديه ولا نكير

وللإبل أنواع متعددة ، فالإبل التي تكون هجيناً وذلولاً تعتبر حسنةً وبارزةً ، يقول شاعر ، وهو يثني على محسنه الذي أهدى إليه الإبل :

إني لمهد من ثنائي فقاصد
به لابن عم الصدق شمس بن مالك
أهزُّ به في ندوة الحي عطفه
كما هزَّ عطفي بالهجان الأوارك

وإن حمر النعم تكون أثمن الحيوانات لدى العرب ، وهي نادرة الوجود ، وقد ورد في الحديث النبوي ذكرها كالشيئ الثمين ، قال صلى الله عليه وسلم : " لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم " وبما أن الأعراب العرب يربون الإبل ، وكانت ذريعة رحلاتهم ، فشغفوا بها شغفاً فطرياً ، فتارة يظهرون التماثل بين عواطفهم وعواطف الإبل أيضاً ، وقد أشار الشعر العربي في مواضع مختلفة إليه ، قال شاعر :

إذا ماقمت أرحلها بليل
تأوه آهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضيني
أهذا دينه أبداً ودِيني

أكل الدهر حـــل وارتحال
أما يبقي عـــلي وما يقيني

وقال آخر :

أرار الله نقيك في السلامي
على من بالحنـــين تعولينا
فإني مثل ما تجدين وجدي
ولكني أســرُّ وتـــعلنينا
ولي مثل الذي بك غير أني
أجل عن القـــتال وتعقلينا

الإبل تمشي مشية سكينة ووقار ، لكن إذا جرت أسرعت في الجري ، فيتمتع بعض الناس بجريها أيضا مثل جري الفرس ، وقد أبدى النبي صلى الله عليه وسلم سروره على تنافس الإبل ، ويعرف صوف الإبل بالوبر ، فيستعمله العرب بوجه خاص ، وكان نيله سهلاً لهم ، فيصنعون منه طنافس الخيم والرداء الصوفي ، وكان الأعراب يستعملونها كثيراً ، فكان العرب يسمون الأعراب أهل الوبر ، وكان مقابل ذلك للمدنيين مصطلح أهل المدر.

الخيل :

إن الحيوان الذي يحمل أهمية كبيرة لدى العرب بعد الإبل هو الخيل ، وتتجلى أهمية وضرورة هذا الحيوان في حياة العرب من شعرهم ونثرهم وتاريخهم وقصصهم ، ولا توجد الخيول في جزيرة العرب قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، فوصلت الخيول أولاً إلى بعض أسواق بادية الشام وسط آسيا ، ثم انتقلت منها إلى العرب ، إن تضاريس بلاد العرب وما تحتاج إليه حياة العرب من حرب ودفاع كانت الخيول فيها أنفع حيوان، فانتشر هذا الحيوان في العرب ، واعتنوا باقتنائه اعتناء خاصاً ، وبالغوا فيه كثيراً حتى جعل يعتبر الخيل العربي أنفس أنواع الخيل.

ورد في الموسوعة البريطانية عن الخيل العربي :

" إن الخيل العربي وإن لم يثبت عنه أنه أقدم الخيول الشرقية ، لكن ثبت أنه أرقى الخيول ، وظل ربطها واقتناؤها مؤثراً بأوسع نطاق على أنفس الخيول في العالم ، وإن خيول العرب قصيرة القامة ، ويكون

ارتفاعها عامة ٤/أقدام وعشرة أصابع ، وعلى الأكثر خمسة أقدام ، وتلوح من رأسها ميزتها البارزة وفطانتها ، إن نواصيها عريضة ، وإن عيونها كبيرة ، وإن مناخرها واسعة ، وأكتافها خاضعة ، وظهورها صغيرة وقوية ، لكن أجنحتها واسعة خاضعة ، وإن أعجازها مستوية ، وعظامها صلبة ، ملساء ، والجزء العالي لأخفافها صبب ، وأرجلها قصيرة، لكنها قوية ، وعامة يكون لون الخيل أبيض مائلاً إلى السواد ، وما بين السواد والحمرة ، ولا توجد الخيول من لون أسود ، والخيل العربي أقوى الخيول قوة ، فيضرب بها المثل ، وإن سيره أيضاً مشهور جداً " [1]

والخيل العربي يُعرف بالأردية والفارسية بـ " أسب تازي " وتازي كلمة فارسية من طائي ، والمراد بالطائي الرجل العربي ، إن زائراً أوربياً زار نجداً ، وهو منطقة وسط جزيرة العرب تحمل خصائص أصيلة ، يذكر الخيول العربية :

" إن الخيول النجدية لا مثيل لها في السرعة وتحمل المشاق ، ومن صفاتها البارزة السير على الشارع أربعاً وعشرين ساعةً باستمرار ، بدون الماء ، ثم جريها حوالي ثمان وأربعين ساعة على حالة واحدة ، في حرارة الشمس المحرقة ، ومن أكبر ميزاتها أنه لا حاجة إلى أن تنقاد بالقول جبراً ، وبما أن العرب يركبون الخيول بدون سرج ولا زمام عامة ، فكانت الخيول تنقاد بدون كلمة من الفرسان إما بإشارة أو بضغط ركبهم ، فهي أحسن وأجمل من خيول أوربا ، وقد ركبتُ هذه الخيول بدون زمام أو سرج ، بإيعاز من فرسانها ، وأسرعت جريها ، وطفت بها كثيراً ، لكن ما وجدت فرقاً بين إرادتي ومشي الأفراس ، هذه الصفة للأفراس العرب ، التي لا ينافسها أهل أوربا " [2] .

كانت علاقة العرب بالفرس كثيراً ، بحيث تستعمل صفة الشجاعة والطموح من هذه المادة ، فكلمة الفروسية وكلمة الفارس جامعتان في هذا المعنى ، وكان العرب يجعلون أفراسهم أعز من أهاليهم،

---

١ الموسوعة البريطانية ص ٧٥٦ ، المجلد الثاني عشر ، الطبعة الرابعة عشرة عام ١٩٢٩م .

٢ رحلة نجد والأحساء .

مرة طلب ملك من عربي فرسه ، فرفض هذا العربي طلب الملك وقال :

أبيت اللعن ، إن سكاب علق
نفيس لا تعار ولا تباع
مفداة مكرمة علينا
يجاع لها العيال ولا تجاع

والعرب يخدمون فرسهم كثيراً ، ويوفرون له غذاء حسناً ، مرة انتقدت امرأة زوجَها على كثرة إنفاقه على فرسه ، وتوفير غذاء حسن له بدلاً من أهله ، فزجر زوجته ، وقال:

تلوم على أن أمنح الورد لقمة
وما تستوي ، والورد ساعة تفزع

حيوانات أخرى :

ولم تكن هناك أهمية كبيرة لحيوانات أخرى مقابل الإبل والفرس في جزيرة العرب ، فالحيوان الذي كان أقرب إلى حياتهم كانت علاقتهم به وطيدة ، يوجد الضأن والمعز في جزيرة العرب كثيراً ، وفي كل منطقة من مناطقها ، وتستعمل لحومهما في الأكل كثيراً ، وإن ضأن العرب أكثر شحماً ، وفي عجزه يكون موضع مثل الرحى ، مشتملاً على الشحم ، وقد تزايدت علاقة العرب بالشحم نظراً إلى كثرة الشحم في الإبل والضأن ، حتى كان أدبهم يذكر الشحم في المأكولات على سبيل المثال ، يقول شاعر:

ما كل بيضاء شحمة
وما كل سوداء تمرة

وفي جزيرة العرب كان الظبي والبقر الوحشي والبغل والنسر أيضاً ، ويوجد ذكرها في الشعر العربي ، وكان الشعراء العرب يشبهون المرأة باعتدال عنقها بالظبي ، وجمال عينها بالبقر الوحشي ، و ورد اسم الظبي والبقر الوحشي في وصف الصيد أيضاً ، وما عدا هذه الحيوانات توجد حيوانات أخرى أيضاً في مواضع شتى ، واستعملت أسماؤها في الأدب العربي ، وكان الأسد يحمل أهمية كبيرة في الحيوانات ، ويضرب به المثل في الشجاعة ، وهو معروف بكثرة أسمائه وصفاته ، تنسب أجود الأسود إلى مآسدها المختلفة ، ويفرق ما بين حسن وأحسن ، وقد عدّ الهمداني في كتابه " صفة جزيرة العرب " أربع عشرة مأسدة ، منها أربع

مآسد شهيرة ، وهي مضرب المثل ، أسماؤها كما يأتي : بيشة ، خفان ، شرى ، وباسم خفية مأسدة جديرة بالذكر ، فمأسدة بيشة تقع في شرق عسير بواد بيشة ، وخفان كانت غابة قرب الكوفة ، وشرى كانت غابة على ساحل الفرات ، ومأسدة ترج في واد آخر قرب بيشة ، وخفية في واد آخر ، والأسد نادر الوجود في الجزيرة اليوم .

وفي المناطق الصحراوية والمهجورة يوجد الفهد والنمر والضبع والثعلب ، والذئب ، والقرد ، والحمار ، ثم البقر ، والنعامة ، والأرنب ، والحيوانات الأخرى ، ويوصف الثعلب بمكره ودهائه باللغة العربية أيضاً ، ولا يعتبر الحمار حيواناً مشيناً ، بل يركبه أولو البصيرة ، وحمار العرب يكون كبيراً وقوياً ، ويضرب به المثل في القوة وحمل الأثقال ، وقد لقب آخر خلفاء بني أمية بالحمار لمواجهة الحروب الكثيرة ، ويضرب المثل بالنعامة في السرعة ، ويوجد القرد في اليمن فقط ، والحمار في اليمن والأحساء والحجاز ، وتوجد النعامة في صحراء النفوذ ووادي الدواسر ، والأوعال توجد كثيراً في اليمن ، وقليلاً في المناطق الأخرى ، والبقرة في الأحساء عامة .

ورد ذكر الضب والضبع في الأدب العربي كثيراً ، ورويت عنهما كثير من الحكايات ، ونقلت قصص الضبع في أكل لحوم الإنسان وقصص الضب للمناسبات المختلفة ، ويشبه العرب الحقد الدفين في الصدر بدخول الضب في جحره ، وعدم خروجه منه ، ويطلقون على الصدر مجازاً كلمة الضب ، ويعتبر الضب أقوى الحيوانات في البقاء بدون الماء إلى مدة طويلة ، ويأتي ذكر الذئب كثيراً بعد الأسد ، وكثر ذكر الحمر الوحشية أيضاً ، ويشبه سيرها بسير الإبل ، ويشبه الحمار بوصول أشياء مختلفة إلى بطنه واجتماعها فيه ، والمثل العربي : " كل الصيد في جوف الفراء " .

ورد ذكر بيضة النعامة ، ويشبه جمال النساء ببياضها ، قال الله تعالى : " كأنهن بيض مكنون " (الصافات : ٤٩) والمعز الجبلي (العصم) يضرب به المثل في الجزع من الناس . قال كثير بن عبد الرحمن :

وأدنيتني حتى إذا ما ملكتني ... بقول يحل العصم سهل الأباطح

تناهيت عني حين لا لي حيلة ... وغادرت ما غادرت بين الجوانح

وتوجد أنواع كثيرة من الطيور في جزيرة العرب ، فالطيور التي توجد في المناطق الخضراء في جزيرة العرب هي نفس الطيور في المناطق الخضراء في العالم ، لكن عددها في المناطق اليابسة ضئيل ، وأنواعها محدودة ، فمن الطيور المعروفة في جزيرة العرب التي لها علاقة خاصة بحياة العرب القطا ، والحمام ، واليمامة ، وأمثالها من الطيور ، والسُماني ، والقطا مضرب المثل في بعض الأمور ، ومستعمل في الشعر العربي ، يقال : هناك تشابه بين اسمها وصوتها : كقول القطا ، يذكر الشعراء العرب القطا لبيان حرقة القلب ، ويعتبرونها موافقةً لطبائعهم ، قال شاعر :

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي
فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

وقال آخر :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
أيا جارتا ، لو تشعرين بحالي

نوع من اليمامة تكون في عنقها حلقة مدورة ، يسميها العرب بالحمامة المطوقة ، ورد ذكرها في الأدب العربي كثيراً ، وفي الطيور الصائدة ، العقاب ، والبازي ، والنسر ، والصقر ، والحدأة ، والغراب ، يشبه بالبازي والصقر الشجعان ، ويضرب الغراب مثلاً للهداية الضالة ، قال شاعر :

إذا كان الغراب دليل قوم
سيهديهم طريق الهالكين

وفي الحشرات السامة أنواع مختلفة من الحيات ، والعقرب والورل، ويكثر في جزيرة العرب الجراد ، وهو يؤكل أيضاً ، ويكون مضرب المثل أيضا ، يقال : هو كالجراد ، وتكثر النحل أيضا في جزيرة العرب ، فيستخرج منها العسل وتتعدد أسماء لأنواعها المختلفة ، ويكون عسل اليمن وحضرموت لذيذاً بصفة خاصة.

رياح جزيرة العرب :

قد عُني العرب بالرياح أيضاً ، وأفردوا ذكر اختلاف هبوبها وجهاتها وخصائصها الأخرى ، فتوجد أسماء كثيرة للرياح في اللغة

العربية، وسميت بأنواعها وخصائصها ، التي لا حاجة إلى استقصائها ، لكن أبرز أسمائها نذكرها مفصلة :

تعرف الريح باختلاف هبوبها بالرُخاء والعاصف والهوجاء ، فالرخاء هو الهواء الخفيف الذي يلامس الجسد ، لكن لا يحرك ساكناً، قال الله تعالى : فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (ص : ٣٦) والهواء الذي يهب بشدة هو العاصف ، وهو يحرك الجماد ، ويقلب الأشياء الخفيفة ، والهواء الذي يهب بشدة متزايدة ، ويكون مثل العاصفة ، لكن لا يكون شديداً ومؤثراً هو الهوجاء ، فللعاصفة حسب أنواعها تأتي كلمة الإعصار والهبوب ، والزوبعة .

وأما بالنسبة إلى جهات الرياح فتعرف بالصبا والدبور والنكباء والمتذائبة ، والشمال والجنوب والنعامى ، الصبا هو الهواء الشرقي ، وهو هواء خاص بنجد ، ورد ذكره عند شعرائه ، ويكون هذا الهواء مبهجاً ، فحينما يهب يشعر الناس بالنشاط والخفة ، وإن مادة هذه الكلمة تدل على معاني النضارة والحب والصبوة .

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادي مسراك وجداً على وجد

وقال صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب : نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور .

الدبور هو الهواء الذي يهب من الجهة الغربية ، وسمي في القرآن الكريم بالعقيم ، ويشبه الصبا والدبور بالرياح التي تهب من الشرق والغرب في شمالي الهند ، لكن الهواء الشرقي في شمالي الهند لا يكون بهيجاً ، والنكباء هو الهواء الذي لا يهب من جهة خاصة من الجهات المقررة ، بل تكون جهتها وسطاً ، والمتذائبة هو الهواء الذي لا يمكن تعيين جهته ، ويهب من أي جهة ، وتتغير جهته أيضاً ، ومادة هذه الكلمة الذئب ، أي كما أن الذئب تأتي من أي جهة ، كذلك هذا الهواء يهب من جهة غير معلومة ، والنعامى والشمال ، هو الهواء الذي يهب من الشمال ، وتستعمل له شمال (بفتح الشين) وشمأل ، قال شاعر:

فلما أقرته اللصاب تنفست
شمال لأعلى مائه وهو قارس

وقال امرؤ القيس :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتـــها من جنوب وشمأل

والهواء الشمالي يهب من الشمال ويمر بالبلدان الباردة والبحر الأحمر فيكون بارداً عامة ، ويكون زمنه فصل الشتاء ، ويمتزج ببرودة مؤذية ، فتتضاءل الحالة الاقتصادية في العرب في هذا الفصل ، ويكون الإنفاق في هذا الفصل دليلاً للأخلاق الفاضلة ، والهواء الجنوبي يعرف بالجنوب والأزيب ، وأما في فصل الربيع فإن الهواء الذي يهب من الجنوب يسمى بلواقح ، قال الله تعالى : وأرسلنا الرياح لواقح ، ومن رياح الشتاء الحرجف والبليل ، والحرجف هو الهواء الذي يهب بشدة .

إن الصبا يهب في نجد عامة ، والهواء الغربي يهب في المناطق الشمالية من العرب ، والهواء الشرقي يهب على السواحل الجنوبية كثيراً ، ويهب هواء حار في فصل الصيف في جزيرة العرب ، ويكون مشابهاً للسموم ، ويكون مهلكاً وخطيراً ، ويهب عامة من الربع الخالي إلى الشمال ، وإن جبال الحجاز تكون جافة ومسطحة ، فالهواء الذي يمر بها يكون حاراً أيضا سواء هب من الحجاز ونجد أم لم يهب .

بعض جوانب ثقافية :

الأرض التي تكون بين قطعتين من الرمل هي الشقيقة ، فالقطع الوسطية في الدهناء تعرف بالشقائق ، والقطعة التي تتكون من التراب بدلاً من الرمل في المنطقة الميدانية تعرف بالأجرع أو الجرعاء ، قال شاعر:

سلي البانة الفيناء بالأجرع الذي
به البان هـــل حييت أطلال دارك

والأرض التي تكونت من الرمل المفكك الصافي تعرف بالنقاء ، والأرض المرتفعة التي تكونت من التراب ، يصرفها الهواء أينما شاء تعرف بالتل ، والقطع الميدانية التي تكون عالية خضراء تعرف بالربوة أو الرابية، جمعها رُبى ، ورواب ، يكثر شعراء العرب من ذكر هذه القطع أو التلال بنضارتها ونبات الأزهار والرياحين عليها ، وإن اسم تلال الرمل كثيب جمعه كثبان ، والطريق الذي يلتوي في قطع الرمل يعرف باللوى ، وورد ذكر الكثيب واللوى في قصص حب الشعراء العرب .

الموضع الذي اجتمعت فيه نباتات السمر هو الحرجة ، والموضع الذي اجتمعت فيه أشجار السلم هو ضارب السلم ، والموضع الذي نبتت

فيه نباتات الأراك هو الغريف ، وشجر الأراك غذاء لذيذ للإبل ، وإذا اجتمع مع الأراك نباتات أخرى سمي بالأيكة ، واستعملت كلمة الأيكة لأكام النباتات المختلفة ، والغابة كذلك .

إن مواضع جزيرة العرب التي يضرب بها المثل ببعدها ، منها خراسان التي تقع على الضفة الغربية من أفغانستان وفي شرقي إيران ، والشحر التي تقع بين حضرموت وعمان ، وبيرين في شمال الربع الخالي ، وحضرموت منطقة في جنوب اليمن وصنعاء عاصمة اليمن ، وبرك الغماد على جهة من اليمن ، كلها مضرب المثل باللغة العربية ، فيقال :

١. لست بمعجز لنا ولو بلغت الشحر
٢. ولو حالت دونك بيرين
٣. بلغتُ حضرموت
٤. لا بد من صنعاء وإن طال السفر
٥. ولو بلغ برك الغماد

والبرك هو الأحجار التي تكون بيضاء ، وصلبة مثل الحرات ، وملتوية ، يصعب المشي فيها .

المواضع التي اعتقد العرب أنها للجن أو للسعالي ، نذكر بعضاً منها:

البدي ، عبقر ، ذوسمار ، (في نجد) وبار (في جنوب الربع الخالي)

جعل من عبقر عبقري ، ودخلت فيه فكرة قوة خارقة للعادة ، ومتميزة بخصائص بارزة ، فإذا كان هذا المعنى في شيئ لدى العرب ، من أي ناحية كانت ، سماه العرب بالعبقري ، فاستعمل العرب هذه الكلمة للأمر العظيم ، والموهبة العظيمة ، والقوة الكبيرة ، والشيئ الذي يحمل أهمية كبيرة ، والرجل الذي كان حاملاً لمزايا كثيرة . فتوسع استعمال هذه الكلمة من هذه الناحية ، واستعمل في القرآن الكريم – كما أظنه– لأداء مثل هذا المعنى .

وكذلك ينسب العرب الشيئ القديم إلى قوم عاد ، الذي يكشف حقيقة قدمه ، فسميت الآثار القديمة والملامح المندثرة باللغة العربية بالعاديات .

دور الفكر الديني في نشأة الحضارات الشرقية

بقلم : الأخت عائشة البشير علي الأسطى *

يعتبر الدين المصدر الرئيسي للشريعة باعتباره أقدم المصادر التي اعتمدت عليها البشرية في تدبيج القواعد القانونية التي تسير عليها ، ذلك أن الدين يرتبط ارتباطاً وثيقا بحياة المجتمعات البشرية والظروف التي تمر بها ، والتعبيرات الأساسية في جميع نواحي الحياة ، لأن البشرية قد احتاجت عبر تاريخها الطويل ومسيرتها الحضارية إلى الشرائع ، والقوانين. يقول " حمورابي [1] : أول وأقدم قانون للبشرية عندما انتقل الإنسان إلى مرحلة بناء الدولة التي حلت محل الأسرة والقبيلة ، والعشيرة ، ويعتبر هذا القانون إنجازاً مهما قدمته الحضارة العربية في بابل ، استفادت منه البشرية وسارت على هديه الكثير من الدول ، خاصة وأنه يحتوى على مواد تهدف إلى إزالة الظلم عن الفقراء ، وهو عبارة عن تجميع للأعراف ، والقوانين التي كانت سائدة في ذلك الوقت بقصد العدل والمساواة في التعامل بين الناس ، وهكذا فالقانون يستمد من الدين باعتباره القانون الطبيعي الذي يناسب طبيعة الإنسان خاصة ، وإن الشريعة ضرورة من ضرورات الاجتماع ، والتي لابد منها لحفظ كيان الجماعة ، واستتباب الأمن ونشر العدل ، والخير والسلام ، ولهذا بدأ التشريع الإلهي منذ آدم عليه السلام ، دين الاستقامة . [2]

ثم دخل عصر نوح عليه السلام عصر الكنعانيين ، مرحلة التشريع المدون وجددت عقيدته ، وشريعته على يد رسول الله إبراهيم عليه السلام

---

* الباحثة في الدكتوراه بجامعة علي كراه الإسلامية .

(1) ول ديورانت ، قصة حضارة ، الجزء الثالث ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، ص ٣٧٣ .

(2) محمد كوراني ، فلسفة الصلاة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٦ .

في العصر البابلي إلى أن أكتملت الشريعة على يد آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [1] وهكذا أصبحت شريعة الإسلام كاملة وصالحة لكل زمان ، ومكان وعرفها المسلمون ، وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم حق المعرفة حتى قال عنهم النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " [2] ، ولكن عندما نتكلم عن الدين كمصدر للشريعة لا نعني بذلك الأديان السماوية الثلاثة فقط ، لأن المقصود بالدين مجموعة النظم والقواعد والأحكام التي تنظم شئون البشر وهو يشمل كافة المعتقدات سواء كانت سماوية أم وضعية كما هو الحال في الديانة البوذية والبرهمية والمجوسية خاصة وإننا تلمسنا السمو الذي جعل هذه الديانات ترقى إلى مستوى الديانات السماوية لما أوجدته من قواعد ، لها أهمية بالغة في تنظيم المجتمعات في بعض الأحيان ، وهكذا يعتبر القانون مستنداً على الدين ومعتمداً عليه أن أقدم الديانات السماوية اليهودية ، والتي تمثلت شريعتها في التوراة ، والتلمود أي العهد القديم وشروحه ، وتفسيراته ، والتي وردت فيها الوصايا العشر التي " تحث على التوحيد " [3] ولكن اليهود انحرفوا عن هذه الشريعة كما انحرف المسيحيون أيضاً عن شريعة عيسى عليه السلام بحجة أنها لم تناسب مصالحهم الأنانية الضيقة، ومع ذلك استفادت منها الكنيسة في وضع القانون الكنيسي .

يعتبر الدين مصدراً للقواعد السلوكية في حياة الفرد ، والجماعة لأنه يتعلق بالإيمان الذي يدفع الإنسان إلى العمل ، وبناء الإنجازات ، كما

---

(1) سورة الشورى ، الآية ١٣.

(2) الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، ط٢ ١٩٨١م ، ص ٣٥

(3) الشريعة والقانون ، الملتقى العالمي حول النظرية العالمية الثالثة ، المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر ، طرابلس ، ص ٤٠.

يعتبر الدين مهما كان مصدره ، مصدراً رسميا للقانون ينسخ من الأعراف فاسدها ويقر الصالح منها ، ويسير بالحضارة الإنسانية خطوات إلى الأمام لما تحتوي عليه تعاليمه من تنظيم علاقة الإنسان بنفسه ، وعلاقته بأفراد المجتمع الآخرين ، وأصبحت لتلك تعاليمه قوة إلزام عملية تتخذ منه مباشرة ، دون واسطة من أي مصدر آخر .

وأصبح الدين مسيطرا سيطرة تامة على جميع مظاهر الحضارة في العصور الوسطى ويظهر ذلك واضحاً من خلال سيطرة الكنيسة على كل الأمور السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك العلوم ، والفنون ، في أوروبا .

ولقد أسهمت حركة الإصلاح الديني البروتستنتية بقيادة " لوثر " كالفن " في توجيه أشد الانتقادات إلى رجال الكنيسة لإسرافهم الشديد في البذخ واستغلال الدين لمصالحهم الخاصة بغية تخليص الإنسان الأوربي من قيود الكنيسة ، وحاول لوثر العودة بالمسيحية إلى تعاليم القديس بولس ، ونادي باستقلال العائلة والدولة عن الكنيسة .

إن دعاة العلمانية يعتقدون أن الدين مسألة ثانوية لا تمت إلى جوهر الحياة بصلة وهو أقرب إلى الروحانيات منه إلى جوانب الحياة عملا ، وسلوكاً ، ناسين أو متناسين أنه عامل أساسي لتوثيق الصلة ، والربط بين أفراد المجتمع ، كما أن المجتمعات التي ينشب فيها الصراع ، والنزاع ، ويدب فيها الخلاف الناتج عن الفراغ الديني أساساً أو لعدم وجود دين ينظم سلوك الأفراد مما يدفعهم إلى الرقي ، والتقدم الحضاري

إن إبعاد الدين ، وفصله عن جوانب الحياة قد يؤدي إلى نتائج عكسية وهذا ما حدث فعلاً في الغرب نتيجة لتشويه الدين الصحيح وهذا ما دفع فولتير : إلي قوله " بأن دين الله هو أقدم الأديان ، وأكثرها اتساعاً لأن عبادة الله بسيطة سبقت جميع الأنظمة في العالم " [1] ، وهو يحرص على نبذ الخرافات وتطهير الدين منها لأنها شوهت الدين ، وانحرفت به عن

([1]) واديورنت ، قصة الفلسفة ، ترجمة فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٢م ، ص ٣٠٢

مساره الصحيح ، ومحاولة العلمانيين وضع الدين في إطار رجعي حتى يلحقوا به تهمة التخلف ، والخرافات وبالتالي يكون بعيداً عن دوره الذي يطلع به في بناء الحضارة رغم علمهم بأن فلسفة الحضارة تعني فلسفة الحضارات في كل مستوياتها وفي كل العصور ، ويلعب الدين دور رئيسياً إلى جانب الجهود التي يبذلها الإنسان في كل المجالات ، المهم أن الحضارة : بمعنى التطور تقتصر على الإنسان فقط ، لأن الله سبحانه وتعالى: ميزه بالعقل لكي يكون قادرا على البناء في الأرض وإعمارها ، وإن أهم ما تطمح إليه الحضارة البشرية هي الوصول إلى المستوى الذي يكون فيه الإنسان سيدا حقيقيا للأرض دوماً عليها ، وربما تجاوزت في طموحاتها وتطلعت إلى كوكب السماء ولقد بين القرآن الكريم ، أن كل الموجودات المادية هي مخلوقة من أجل خدمة الإنسان وهي مسخرة من الله لعباده ، وعليه أن يستخدم كل الأساليب العلمية للاستفادة من الموارد الطبيعية المتاحة له، وأن الله قد حبا بني آدم بعلم لم يكن للملائكة عهداً به ، وجعله في موقف القدرة على مواجهة حياته التي أرادها له قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [1] . فالعلم مطلوب ومرغوب من الناحية الإنسانية ، والدينية ، واستغلاله الأستغلال الأمثل ، ولكن العلم ليس معناه هدم الدين الذي يعتبر المحرك الرئيسي للصراع .

ولكن يجب أن يكون الهدف هو لقاء العلم والدين ، في إثبات الوحدانية ، إن لجوء الإنسان إلى السحر ، والخرافات ، وتقديس مظاهر الطبيعة ، واستخدام كل الأساليب لإرضاء كل الآلهة ، يدل دلالة واضحة على أن الدين يملأ الفراغ الذي يشعر به الإنسان في غياب الاطمئنان ، والإيمان الذي يزود الإنسان بالقوة الدافعة للعمل ، والبناء الحضاري باعتباره حجر الأساس في الجانب المعنوي للحضارة: " لأن الحضارة مادة والثقافة معنى " [2] فالحضارة عبارة عن إنجازات الإنسان

---

(1) سورة البقرة ، الآية ١٠.

(2) علي فهمي خشيم ، مر السحاب ، العدد (٨٧) المنشأة العامة للتوزيع والإعلان، ليبيا . ص٦١ .

وجهود أي أمة من الأمم ، ولهذا كل حضارة من الحضارات العالمية تنسب إلى شعبها ، ويتجلى دور العامل الديني واضحاً فيها ، فحاجة الإنسان إلى الدين لا تقل أهمية عن حاجته إلى الماء الذي يعتبر أساس الحياة لكل المخلوقات وقد ورد ذكره في القرآن الكريم ، وفي آيات كثيرة تؤكد على أهميته ومنها قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [1] . وهكذا في كل الحضارات كان ينظر الإنسان إلى الماء نظرة احترام ، وتقديسه باعتباره مصدر البناء والخير والذي وظف لخدمة الدين ، جاءت الديانات السماوية بما في ذلك الرسل ، والأنبياء أجمعوا على وحدانية الله لأن كتاب الله خاطب عقول البشر بأن يتفكروا في ملكوت السموات والأرض ، وبوصول المسلمين إلى الحقيقة قوى إيمانهم ومكنهم من بناء الحضارة باستخدامهم المنهج العقلي والمنهج التجريبي الذي نقلوه إلى جميع أنحاء المعمورة .

إن البحوث التي أسهمت في تطويرها مجموعة كبيرة من علماء الاجتماع دلت بما لا يقبل الشك أن الدين ليس معوّقاً للتقدم الحضاري ، بل إننا نجد في أكثر الديانات حوافز وبواعث تدعو إلى التطوّر الحضاري، والدينْ ليس معوّقاً فلا ريب أن هناك بعض المعوّقات في بعض الديانات ، ولكننا عندما نعود إلى جذور هذه الديانات نجد أنها في الأغلب نقية من تلك المعوقات ، وأن الأفكار المنحرفة تحوّلت إلى جزء من تلك الديانات بفعل مرور الزمن ، وهذه الظاهرة لا تقتصر على الديانات ، بل تحسب أيضاً على المذاهب الفلسفية التي يعتقد بها البعض ، الأمر الذي يطرح تساؤلاً ، وهو: لماذا نجد أن الدين في بداية انطلاقه وانبعاثه يوصي بالسعي، والتحرك ، والحماس ، والإيثار ، ولكن هذا الدين ذاته يتحوّل شيئاً فشيئاً في ذهن معتنقيه إلى سبب للتخلف ، وعامل للجمود والسكون؟ . [2]

الإسلام فجّر طاقات التقدم مثلاً من واقعنا - نحن المسلمين -

---

(1) سورة لقمان ، الآية ١٠.

(2) مؤلف ، السيد محمد تقي المدرسي ، الحضارة الإسلامية ، آفاق وتطلعات ، ص ١٢٥.

فنحن نعلم - كما يشهد بذلك العالم بأسره - أن الإسلام فجرّ في ضمير الإنسانية طاقات التقدم ، والتطور ، وأعطى البشرية شحنات حضارية قوية ما تزال أمواجها تنير الدرب أمام كل من يريد التقدم ، واليوم لم يعد هناك أحد في هذا العالم سواء كان غربياً أم شرقياً ، مؤمناً أم ملحداً ، مسلماً أم غير مسلم ، ينكر هذه الحقيقة ، لأنها فرضت نفسها على التاريخ .

صحيح أن الكنيسة من جهة والمستشرقين والملحدين والعلمانيين من جهة أخرى حاولوا أن يلصقوا بالإسلام تهماً معينة ، وأن يغمطوا حقه ، بل إن بعضهم حاول أن يسند التقدم الذي حدث لدى المسلمين إلى بعض العوامل الجغرافية و التاريخية ، كفكرة الدورات الحضارية وما إلى ذلك، ولكننا عندما نقرأ اليوم كتاباً لأحد المستشرقين أو عندما نطالع نصوصاً لعلماء كبار في المسيحية ، أو حتى عندما نقرأ توصيات وقرارات المجامع المسيحية الكبرى مثل الفاتيكان نجد أن تلك التهم قد ذابت ولم يعد لها صيت .

وهناك ظاهرة أخرى من ظواهر عدم فهم الدين ، والجمود على سيرة الأولين ، ألا وهي الإضافات والبدع التي يشير إليها الله تعالى في قوله: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [1] ، فهذه الحالة البشرية التي أضيفت إلى الثقافة الإلهية هي المعوق ، لأنّ التاريخ في حالة تغيّر مستمر ، وإذا ما التزمنا بنفس الثقافة التي كانت سائدة قبل ألف سنة فإنها ستتحول إلى أكبر معوق لحركة التاريخ .

ونحن نريد في هذا السياق توضيح : كيف يدخل الدين في صنع الحضارة . وكذلك نأخذ الدور الإيجابي للدين في صنع الحضارة كمصادر مفروغ عنها ، وذلك لأن الواقع العملي أثبت تاريخياً الدور الإيجابي للدين في صنع الحضارة ، وهذا ما يشهد به تاريخ الإسلام ، هذا هو الدين الذي استطاع أن يحول مجتمع الجزيرة من مجتمع جاهلي غير حضاري إلى مجتمع طليعي في صنع الحضارة ، واستطاع هذا المجتمع ومن

(١) سورة الحديد ، آية ٢٧.

مدينة الرسول (عليه السلام) أن ينطلق نحو الدنيا المترامية ليؤسس كياناً حضارياً كبيراً ، أصبح حلقة مهمة من الحلقات التي لا يمكن أن تتجاهل ولا يمكن أن تغفل في المسيرة الحضارية للبشرية . فلهذا نأخذ هذه القضية كمصادر مسلمة مفروغ عنها ولا ندخل في البحث النظري لإثبات ذلك ، إذ نكتفي بذلك الواقع العملي الذي يشهد به التاريخ لننطلق من هذا الواقع لدراسة كيفية دخول الدين في صنع الحضارة .[1]

فإذن الحضارة ليست مزيجاً من الإنسان والتراب والزمن ، وإنما هي مزيج من الإنسان والفكر والثروة ، متى ما امتزج الإنسان مع الفكر والثروة استطاع أن يكون حضارة وأن يبني حضارة . دور الدين هنا ليس هو دور ذلك الشيء الخارج عن هذه العناصر المركب لها ، وإنما الدين في الحقيقة جزء من هذا المزيج ، وعنصر من هذا المزيج ، لأن الدين هو النظرية التي يبنى على أساسها البناء الحضاري . حينما قلنا إن الحضارة مزيج من إنسان وفكر وثروة ، فإن الدين يدخل في عنصر الفكر ، لأن الدين هو الذي يقدم نظرية البناء الحضاري ، طبعاً الدين ليس لوحده عنصراً في هذه القضية ، وإنما هو جزء ، لأن النظرية الحضارية تنقسم إلى قسمين ، يعني محتواها ومصادرها تنقسم وتتنوع إلى نوعين :

النوع الأول : المعرفة البشرية وفكر بشري وتجربة إنسانية .

والنوع الثاني : هو الفكر الديني والتوجيه الرباني والهدى السماوي الذي ينزل إلى الإنسان والذي في ضوئه يستطيع أن يبني حضارة .

فإذا لم يكن الدين دخيلاً في ذلك المزيج الحضاري ، سوف تنشأ حضارة ، وتبتنى حضارة ، ولكنها ستبتني بشكل ناقص غير متوازن يفتقد الثقافة النمطية للحياة المستوحاة من السماء ، فيأتي المجتمع حينئذ بثقافة نمطية بشرية و وضعية ، وهذا ما حصل للحضارة الأوربية ، فالحقيقة هي أن الحضارة الأوربية الحديثة لم تكن تعتمد على تعاليم المسيحية مطلقاً ولم تكن تعاليم المسيحية هي المركب الحضاري لها ،

---

١) انظر كتاب خاليد فؤاد طحطح ، نظريات في فلسفة التاريخ ، مطبعة الخليج العربي ، تطوان ص٤٧

بل هذه الحضارة الأوربية إنما صنعت بمعزل عن تعاليم المسيحية ، بل بالتنكر لتعاليم المسيحية ، حتى إن النهضة الحضارية التي تحققت لأوربا والتي أطلق على أوجها مصطلح " الرينايسينس " ، والذي يعني التنوير ، كان يقصد بالتنوير الابتعاد عن ما هو ديني وعما يرتبط بالكنيسة ، ولهذا فإن الحضارة الأوربية قامت بمعزل عن تعاليم المسيحية ولم تكن هذه التعاليم هي المركب الديني للمزيج الحضاري ، وهذا يعني أنه لا يمكن أن تنشأ حضارة إلا إذا دخل الدين في صنعها ، بينما نجد أن هناك حضارات نشأت ولم يكن للدين دور في صنعها ، وهذا يعني أن دور الدين ليس هو المركب للمزيج الحضاري ، وإنما الدين يدخل كعنصر أساسي من عناصر ذلك المزيج ، وهو الفكر ، غاية الأمر أن الحضارة التي لا تعتمد على الدين سوف تكون حضارة غير متوازنة ، لأن الثقافة النمطية التي تدخل كجزء في نظرية البناء الحضاري سوف لا تكون ثقافة مستوحاة من السماء ، وإنما سوف تكون نمطية ثقافية وضعية ، بينما الحضارة التي يصنعها الدين ، هو الذي يعين لها نمطيتها الثقافية ، وبالتالي سوف يكون المحتوى الأساسي النمطي للحضارة ، محتوىً ربانياً سماوياً ، فيتجلى بذلك البعد الرباني وكذلك البعد الإنساني للحضارة.[1]

وفي كل الأحوال سيبقى الدين عنصراً مهماً في حياة الإنسان فالعلاقة بينهما علاقة تلازمية منذ القدم . لأنه ظاهرة إنسانية ، وحضارية ، ويصعب علينا فهم أية حضارة فهماً صحيحاً دون الإطلاع على دينها ، وهذا ما جعل المفكر " توينبي " يرد الحضارات إلى الأديان لأن الفراغ الروحي يدفع الإنسان إلى حالة من اليأس ، والقنوط خاصة عندما يستبدل الدين الآلهي بالأيدلوجيات ، والنظريات الوضعية كما هو الحال بالنسبة للنظرية الرأسمالية والماركسية . ومهما يكن من أمر فالإسلام هو النموذج الأمثل ، وهو سبب الحضارة المثلى ، والمجتمع الأفضل .

(1) مالك بن نبي ، شروط النهضة ، دمشق دار الفكر ، ١٩٨٨ م ، ط١ ، ص٧١ ، ٦٥.

وليم مونتغمري وات وكتابه " Muhammad at Mecca "

د . محمد ثاقب الندوي *

وليم مونتغمري وات من أولئك المستشرقين الذين ساهموا في مجال السيرة النبوية وكتبوا حول حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن شوّهوا صورته وسيرته ، وإنه مستشرق بريطاني الأصل ، عمل عميدا لقسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرا. شك في القرآن والوحي ، وتركزت اهتماماته الأساسية في مجال السيرة النبوية ، له العديد من المؤلفات من أهمها :

١- الجبر والاختيار في الإسلام .
٢- محمد صلى الله عليه وسلم في مكة .
٣- محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة .
٤- محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورجل دولة .
٥- عوامل انتشار الإسلام .
٦- الوحي الإسلامي في العالم الحديث .
٧- الفكرة التكوينية للفكر الإسلامي .
٨- تاريخ إسبانيا الإسلامية .
٩- الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر .

وله العديد من الدراسات والبحوث في الدوريات الإسلامية والاستشراقية .

كتاب " محمد صلى الله عليه وسلم في مكة " (Muhammad at Mecca)

كتاب " محمد صلى الله عليه وسلم في مكة " لـ مونتغمري وات يبدأ بمدخل (Introduction) ، ويتم بعودة المهاجرين (The return of emigrants) ، ومشتمل على ١٨٦ صفحة مع فهارسه دون الملاحق (Index) وطبع من مطبعة كلندن أوكسفورد ، سنة ١٩٥٢م ، ومحتوي على ستة فصول .

فالفصل الأول : يبحث فيه عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية

* saqibamu@gmail.com

والاجتماعية والأخلاقية والدينية ، يقول بشأن الاقتصادية في مكة أن "القرآن لم يظهر في بيئة الصحراء بل في بيئة المال " [١] ، وما إلى ذلك بالنقد على "أن الجوع هو الذي دفع بالعرب على طرق الفتح " [٢] ، ويقول بشأن السياسة في مكة "أن النزاع كان مستمرا في المجتمع المكي التجاري من أجل السلطة " [٣] ، واستطرد قائلا : " لم يكن يوجد في مكة سوى مجلس شيوخ يسمى الملأ ، وكان عبارة عن مجلس من زعماء القبائل المختلفة ، وكان مجلسًا استشاريًّا ، ولم يكن له أية سلطة تنفيذية خاصة " [٤] .

والفصل الثاني : يبحث فيه عن الفترة الأولى من حياة محمد صلى الله عليه وسلم و دعوته ، فيشك في أمر زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها ويقول : " ربما (Perhaps) كان عمر خديجة في شيء من المبالغة ، وتذكر المصادر أسماء الأولاد السبعة الذين انجبتهم من محمد : القاسم ، رقية ، زينب ، أم كلثوم ، فاطمة ، عبدالله (الطيب) الطاهر ، وتوفى الذكور في طفولتهم .

ولو فرضنا (Even if) أنهم ولدوا بمعدل ولد في كل سنة فتكون خديجة في الثامنة والأربعين من عمرها عند ولادة الأخير ، وليس هذا مستحيلا ولكنه غريب يثير التعليق وهو من الأمور القابلة لأن تصبح فيما بعد معجزة " [٥] .

ويقول بهذا الصدد أيضا : " أن محمدا خطا بذلك في نظر المجتمع المكي أولى خطواته لارتقاء سلم النجاح ، وربما (May) لم تكن خديجة بهذا الثراء الذي نسمع عنه ، غير أن محمدًا أصبح يملك رأسمالا كافيًا يشارك نوعًا ما بالأعمال التجارية ، وإذا كنا لا نعرف ما إذا كان قد رحل إلى سورية فإن هذا لا يعني أنه لم يرحل ويمكن أن يكون قد كلف رجالا له بالإشراف على أعماله " [٦] .

---

(١) وات مونتغمري/ محمد صلى الله عليه وسلم في مكة {Muhammad at Mecca}– ص: ١٠، أوكسفورد، ١٩٥٣م.
(٢) المصدر نفسه/ ص: ٢٠.
(٣) المصدر السابق/ ص: ٢١.
(٤) نفس المصدر/ ص: ٢٨.
(٥) المصدر نفسه/ ص: ٣٨.
(٦) نفس المصدر/ ص: ٣٨.

وفي نفس الفصل يتحدّث عن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ويقدّم كيفية الوحي ومجئ الرسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوبه : النقد الفلسفي اللاذع دون الحقائق .

إنه يريد التذليل للقرآن الكريم في " صورة الوعي النبويّ عند محمد " (consciousness In the form of Muhammad's prophetic) ويقول : " يعتقد المسلمون السنّيّون أن القرآن في أصله من مصدر إلهي بأكمله ، هو كلام الله غير المخلوق (وإن كانت الأصوات ، والكتابات على الورق . . . الخ مخلوقة) ويعتقد الغربي المدني (أو ربما أعتقد) إذ أخذ بالتمييز الذي قام به محمد) إن القرآن هو من صنع شخصية محمد غير الواعية " [1] .

والفصل الثالث يبحث فيه عن " الرسالة الأولى " (The primary message) وبشأن تاريخ القرآن ومضمون الآيات الأولى ، ورحمة الله وقدرته ، وصلة الرسالة بالعصر من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والفكرية والدينية والظروف الاقتصادية والدين وأصالة القرآن .

والفصل الرابع يبحث فيه عن " المسلمون الأوائل " (The First Muslims) ، الذين اعتنقوا الإسلام أولاً مع التحديث عن القبائل التي توجد في مكة ومكانتها في ذلك العصر .

وفي الفصل نفسه يتحدث عن " صدى رسالة محمد " (The Appeal of Muhammad's Message) ويقول "It would not be surprising if some men were attracted chiefly by the political and economic implications of the message . Yet it unlikely that there were was , it cannot be too firmly insisted , many such . Muhammad in no wise a socialistic reformer but the inaugurator of a new religion" (إن رسالة النبي صلى الله ينادي إلى الوعي الاقتصادي والسياسي في اعتناق الإسلام ، ويقدّم أن محمدًا لم يكن مصلحًا اجتماعيًا قط ، بل كان مؤسس ديانة جديدة) [2] ، هذا يدلّ على النقد اللاذع من عدوّ الإسلام دون التحقيق .

---

(١) نقلا عن المصدر السابق راجع للتفصيل من صفحة ٥٣إلى ٥٨.

(٢) المصدر نفسه/ ص: ٩٩.

أما الفصل الخامس فيبحث فيه عن " بداية المعارضة والآيات الإبليسية " ويعتمد على الواقعة الدخيلة التي تسمى بحديث (الغرانيق) والتي يفترض (وات) أنها أكيدة ، كما يقول " إذا قارنا مختلف الروايات وحاولنا أن نميز بين الوقائع الخارجية التي تتفق معها ، والدوافع التي يستخدمها المؤرخ لتفسير الوقائع ، نلاحظ واقعتين نستطيع أن نعتبرهما أكيدتين " [1] .

والفصل السادس يبحث فيه عن " خطورة وضع محمد " وينتقد شخصية النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة لزوجته سودة ويقول : "The one of the earliest ، women was Sawdah bint Zam'ah Muslims and now a widow-and this may indicate a need for spiritual companionship . But we hear little further about and may suppose that her relations with Muhammad ، Sawdah were chiefly in the domestic sphere" (كانت زوجته سودة بنت زمعة ، وهي من أوائل المسلمات وكانت أرملة ، ويدل هذا على حاجته للحب الروحي ، ولا نعرف إلا القليل عن سودة ، ونستطيع أن نفترض (And may suppose that) أن صلاتها بمحمد كانت صلات خادم بمخدومه) [2] .

وفي نفس الفصل ينقد على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : "ونحن نعتقد أن محمدا في هذا أخذ يدعو أفراد القبائل البدوية للدخول في الإسلام ، وأن وراء هذا النشاط تكمن فكرة غامضة في توحيد العرب جميعا " [3] .

ويقول في الفصل نفسه عن (The Meccan Achievement) "المنجزات في مكة" "The Great achievement of the Meccan period the ، of Muhammad's career was the founding of a new religion religion which eventually come to be known as Islam" (كان

(١) نفس المصدر/ ص: ١٠١.
(٢) نقلا عن المصدر السابق/ ص: ١٣٧.
(٣) المصدر نفسه/ ص: ١٤١.

أكبر الانجازات في الفترة المكية من حياة محمد تأسيس ديانة جديدة عرفت فيما بعد بالإسلام) [1] ، هذا دليل على عداوته للإسلام ، ويعترف "His 'Arabic Koran' a work of genious، a great creation of the great man" (أن قرآنه (محمد) العربي وهو عمل عبقري وإبداع كبير من رجل عظيم) [2] ، ذكر فيها بشأن الأحابيش وأحاديث عروة والقوائم المختلفة ، وعودة المهاجرين .

أما المنهج الذي نجده في كتابه فهو كما يلي :

١- المبالغة في الشك والنفي .

٢- إثارة الشكوك واعتماد الضعيف الشاذ مع إسقاط الرؤية والموضوعات المعاصرة على الوقائع التاريخية والنماذج في الدراسة التحليلية

٣- ردّ معطيات السيرة إلى أصول نصرانية أو يهودية ، و كما رأينا أن (وات) مارس من المبالغة في شكوكه ونفيه الكيفي ، وافتراضاته ، ولا تكاد رواية من الروايات التي تتحدث عن العصر المكيّ ، تخرج من مختبره إلى ميدان القبول إلا بصعوبة ، ونجد عبارات نقدية تتصادم في كتابه ، كما أنه يكثر من استخدام تعبير(Probably) (Must have been) (Might be) (Seem to have been) (Apparently) الذي يضع الوقائع على حافة اليقين، في حالة الايجاب و في حالة السلب ، فقد رأينا أنه مارس تشكيكاً ونفياً للعديد من معطيات السيرة عبر عصرها المكيّ .

ونستطيع القول بأنه (وات) لم يكن بمقدوره على الاطلاق مهما كان من اتساع ثقافته ، واعتدال دوافعه ، وحياديته ، ونزوعه الموضوعي إلا أن يطرح تحليلا للسيرة ، لا بد أن يرتطم هنا وهناك بوقائعها ، وبداهتها ، ومسلماتها ، ويخالف بعضا من حقائقها الأساسية ويمارس متعمداً أو غير متعمدٍ تزييفاً لروحها وتمزيقاً لنسيجها العام .

(١) نفس المصدر/ ص: ١٥١- ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه/ ص: ١٥٨- ١٥٩.

صور و أوضاع

إلى منهج جديد لعرض الإسلام وترشيد العمل الإسلامي

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

كان التعريف بالإسلام ونفض الغبار عنه ، وإزالة الشبهات العلمية ، وشرح مفاهيمه بالأسلوب الحديث ، والعقلية العصرية ، وإثبات سداده للعصر، من أرجحيات العمل الإسلامي ، فانصرف العلماء والكتاب والمفكرون إلى التأليف في الموضوعات العلمية من وجهة النظر الإسلامية ، وقد قامت للقيام بهذا العمل أكاديميات ومؤسسات علمية ، ودور النشر ، واستفاد المهتمون بالفكر الإسلامي بسائر الوسائل الميسرة من كتب وصحف ، وإذاعة وتلفزيون ، وبدأ الآن استغلال الانترنيت ووسائل التواصل الاجتماعي لمتابعة ما يذاع ضد الإسلام ، وبثّ ما يشرح وجهة النظر الإسلامية إزاء القضايا المستحدثة ،وتنقية ما أثير من الغبار عليه في السابق ، ونشأت بفضل هذه الجهود العلمية والدعوية يقظةٌ في المسلمين ، وفي غير المسلمين معرفة عن الإسلام ، وأدى ذلك إلى إقبال عدد كبير من المثقفين إلى الإسلام ،حتى في الدول الأوربية ، ونشأت حركات إسلامية في مختلف مجالات الحياة .

وبعد ظهور ما يوصف بالعقلية الإسلامية في هذا العصر بفضل جهود الدعاة ، وبسبب الحركات الإسلامية التي نشأت لنشر الفكر الإسلامي ، ومواجهة الأفكار والنظريات المادية ، وما قاسى العالم الإسلامي بتأثير الاشتراكية والرأسمالية والاستعمار و الاستشراق والتبشير ، لاحظ أعداء الإسلام في أوربا الشرقية والغربية أن الإسلام يبرز

كقوة ثالثة بديلة للقوتين العالميتين اللتين لهما نظريات وأفكار مضادة ، فتشاور الساسة في أوربا حول خطر انتشار هذه اليقظة بتأثير معرفة الإسلام ، ففكروا في تحويل آثار هذه اليقظة إلى اتجاهات تبدو في ظاهرها إسلامية ، ولكنها في داخلها تتعارض مع تعاليم الإسلام ، وتوقع المسلمين العاملين بالإسلام في صراعات ، وساعد على هذا التحول تقليدُ بعض العاملين للمناهج الأوربية والحركات الغربية في تحقيق الأهداف .

و قد اندفع الأعداء إلى مواجهة ما حسبوه الخطر الإسلامي لبقائهم، ورفعوا شعار الخطر الإسلامي وصلاحيته وظهوره كبديل للنظامين العالميين، وكثفوا الدعاية ضد هذا الخطر الموهوم ،وهذا الإحساس بكون الإسلام خطراً للعالم والحضارة المعاصرة ، يعرف بإسلاموفوبيا ، وسخرت لنشر هذا الخوف وسائل الإعلام بسائر صورها وأشكالها ، وقوة تسخيرها وتزويرها للأذهان ، كما ساهمت المكتبات العلمية ومراكز البحوث الفكرية ومراكز التحقيقات وإعداد الاستراتيجيات في الدول الشرقية والغربية لإقناع العالم بهذا الفكر القائم على نفسية الخوف ، وتحركت الحركات الأوربية لإعداد مؤامرات لإحداث الصراع في العالم الإسلامي لتبرر هذا الخوف ، ومن هذه الحركات دعمُ المتشددين والمتطرفين في المجالات الإسلامية للقيام بأعمال تبرر هذا الخوف ،وإثارة صراعات بين المسلمين أنفسهم ، ونشر الأفكار المضادة ، ودفعهم إلى استعمال القوة لإثبات أن الإسلام دين الشدة والعنف .

يقضي هذا الواقع من قادة الفكر الإسلامي السديد أن يقدموا الإسلام الحقيقي ، ويواجهوا المنحرفين عن منهج الإسلام الصحيح القائم على السيرة النبوية وسير الدعاة والمفكرين الذين دافعوا عن الإسلام في عصور مختلفة ، وهذا الردّ يحتاج إلى إعداد كتب ، والقيام بالعمل

الإسلامي السديد لعرض الإسلام وردّ الأفكار المنحرفة عن الإسلام .

وقد أعرب كثير ممن اعتنق الإسلام بدراسة الإسلام عن حيرتهم بأنهم بعد دراستهم للإسلام واقتناعهم بنظام عدله ، وشرف الإنسان في ظله لما أتيحت له فرصة الاختلاط بالمسلمين في دولة الأغلبية الإسلامية ، وجدوا بوناً شاسعاً بين الإسلام المقروء والإسلام الواقع .

وينطبق ذلك على الحركات الإسلامية وقادتها أيضاً ، فإن الانصراف إلى العمل الإسلامي والنشاط السياسي أحياناً يؤدي إلى تقصير في اتباع تعاليم الإسلام في مقايسة الأمور ، وتكون حياة المناضل في الحركة الإسلامية غير منسجمة مع حكم الشريعة والخلق الإسلامي .

هذه الجهود التي تبذل لتعريف الإسلام لا تستطيع أن تثمر إلا إذا رافقتها جهود لتطبيق الإسلام في الحياة ، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى فيقول:

" فأول ما يجب على المسلمين بصفة عامة والعاملين في نطاق الدعوة والصحوة بصفة خاصة ، أن يمثلوا السيرة الإسلامية النموذجية المثالية إلى حدّ الإمكان بكل وضوح وجلاء ، فإن ذلك من أقوى أسباب احترام هذا الدين والحرص على دراسة مصادره وتعاليمه التي تصبغ المسلمين بهذه الصبغة المميزة ، وتسبكهم هذا السبك الجميل ، وتحملهم على العناية بدراسة القرآن والسيرة النبوية والشريعة الإسلامية ، وقد تخلى المسلمون مع الأسف من زمان عن تمثيل هذه السيرة وتأثروا بالتقاليد والعادات والقيم والمثل التي هي شعار الأكثرية غير المسلمة وبقايا الحضارة المحلية القديمة أو من تأثير الحضارة الغربية المادية الحديثة " .

إلى الإسلام من جديد

صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة

محمد فرمان الندوي

الإسلام دين التوحيد ، ودين العقيدة السنية ، ودين كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شك أن أغلى شيئ في الوجود وأثمنه عقيدة التوحيد ، وهي عقيدة متدفقة بالقوة والحياة ، فهي ينبوع ثر ، يسقي الكون والحياة ، والإنسان ، وهي منارة نور تضيئ الظلمات بعضها فوق بعض ، وتدفع المصائب والبليات ، فلا خير في الدنيا إلا بالتوحيد ، ولا نجاة في الآخرة إلا بها ، فكانت عقيدة التوحيد أقوى العوامل لتغيير المجتمعات من الشر إلى الخير ، ومن الشقاوة إلى السعادة ، قال تعالى : أو من كان ميتاً ، فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها (الأنعام : ١٢٢) .

إن عقيدة التوحيد هي الدعامة ، وهي الأساس ، مثلها مثل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، فكلما كانت عقيدة التوحيد راسخة في القلوب ، ومتأصلة في النفوس كانت آثارها واسعة النطاق ، وإذا كانت ضئيلة كانت آثارها مثل ذلك ، وقد ظهرت نتائج هذه العقيدة في سالف الزمان ، والواقع أن عقيدة التوحيد صنعت أفراداً كانوا مفخرة التاريخ وتاج الإنسانية ، وكانوا خير خلف لخير سلف ، إن سلسلة الأنبياء منذ آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم شاهدة عدل على هذا ، كل نبي دعا قومه إلى الله تعالى ، وإلى التوحيد الخالص ، بقوله : ما لكم من إله غيره، فكل من تمسك بها وجد لذة الحياة ، وفاز بالجنة والنعيم ، ومن رفضها خسر الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

إن رسولنا العظيم بعث لتطهير العالم وخاصة جزيرة العرب من عبادة الأوثان والأصنام فقد نشر عقيدة التوحيد ، ونصب فيها رايتها قائلا : لا يجتمع فيها دينان ، فطهرت جزيرة العرب من عبادة الأصنام ، وجعل يكسر الأصنام يوم فتح مكة قائلا : قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، (بني إسرائيل : ٨١) وقد انتشر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في البلدان المختلفة، فانتشر نور التوحيد في أرجاء المعمورة ، فكان من ثمارها الخلافة الراشده على منهاج النبوة ، وكان كل فرد من أفراد هذه الخلافة نموذجاً عالياً وقدوة حسنة إلى يوم القيامة .

إن عقيدة التوحيد تغيِّر الحياة ، وتوقف التيارات ، وتسد مجاري الشرك والفساد ، وحينما دخلت هذه العقيدة في القلوب وتغلغت في أحشاء النفوس أحدثت انقلاباً ، وأنشأت جواً هادئاً من الأمن والسلام ، وقد رأى التاريخ الإسلامي هذا الانقلاب في الرعيل الأول ، فسجله بمداد من نور .

كان عمر بن الخطاب رجلاً مهيباً ، قاسياً شديداً ، فما إن نطق بكلمة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تغير اتجاهه وموقفه ، فكان رجلاً ، لا يحب الباطل ، ولم يعد من الباطل في شيئ ، جعل الله الحق على لسانه وقلبه ، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى ، وكان قبل إسلامه يرعى أغنام أبيه الخطاب ، ثم جعل يحكم العالم بعد إسلامه ، رضي الله عنه وأرضاه ، وإن حرام بن ملحان يقول عند إصابته السهم: " فزت ورب الكعبة " فتزعج هذه الجملة قاتله جبار بن سلمى ، ويتفكر في عقيدة التوحيد وفوز الإنسان به ، فيدخل في الإسلام (صحيح البخاري، كتاب المغازي ، باب غزوة الرجيع) .

وكان في أهل خيبر عبد أسود حبشي كان في غنم لسيده ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح ، فسألهم ، فلما أخبروه بأنهم يقاتلون محمداً ، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض النبي صلى الله عليه وسلم عليه الإسلام ، فأسلم وقاتل حتى استشهد في غزوة خيبر ، ودخل الجنة ولم يصل لله سجدة فقط (زاد المعاد ج١/٣٩٣) .

وكان في تبوك مسلم مسكين اسمه عبد الله ذو البجادين ، وكان يشتاق إلى الإسلام ، لكن قومه يمنعونه منه ، ويضيقون عليه حتى تركوه في بجاد أي رداء واحد ، فأتزر بواحد واشتمل عليه ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : ذو البجادين ، ومات في تبوك ، وقد شيعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلام الليل ، قال عبد الله ابن مسعود : يا ليتني كنت صاحب الحفرة (سيرة ابن هشام ص: ٥٣٧) .

فعقيدة التوحيد صبغة الله في الأرض ، فمن اصطبغ بهذه الصبغة، كانت له الغلبة والرفعة والسناء والتمكين في الأرض ، ومن انحرف عنها وابتعد منها كان نفاقه جليا وكان كفره واضحاً ، فالتوحيد يصنع العجائب، ويأتي بالغرائب ، ويبهر الألباب ويدهش العقول ، وإن ما نراه اليوم من تشتت البال ، وتفكك النظام والقلق النفسي يرجع سببه إلى ضعف عقيدة التوحيد ، وضآلة معنوية الإيمان ، وبيع الدين بثمن بخس دراهم معدودة ، وإيثار العاجل على الآجل ، لأن التوحيد قيام للناس ، فإذا اختل هذا الشيئ تعرض نظام العالم للفساد والدمار ، فلا عزة ولا كرامة إلا بالتوحيد والإيمان والإحسان ، ولا ضعف ولا استكانة إلا بالشرك والكفر والعصيان ، قال الله تعالى : ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (الحج : ٣١) .

وقال العلامة السيد سليمان الندوي :

" إن الأمم التي لا عهد لها بعقيدة التوحيد لم تكد تعرف معنى الإنسانية، وكانت تعد نفسها عبيدة خاضعة لكل مظهر من مظاهر القوة . وإن عقيدة التوحيد التي جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هي العقيدة التي استطاعت أن تحرر الإنسانية من المخاوف التي كانت تسيطر على شعوره ، فأصبح بهذه العقيدة لا يخاف أحداً إلا الله " . (سيرة النبي ج ٤/ ٣٨٦)

إلى رحمة الله تعالى

(١) الخير الكريم الحاج عبدالرزاق الرصاصي في ذمة الله تعالى

تلقت أسرة المجلة وإدارة ندوة العلماء نبأ وفاة الخير الكريم الحاج عبدالرزاق الرصاصي بحزن وأسى بالغين ، إنه لبى نداء ربه في اليوم العاشر من أغسطس لعام ٢٠١٥م الموافق ٢٥/ من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٦هـ يوم الاثنين بالغاً من العمر ٨٤ عاماً ، وذلك في منزله بمدينة دبي (دولة الإمارات العربية المتحدة) فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الحاج عبدالرزاق الرصاصي من كبار التجار للعطورات على أرفع وأوسع مستوى ، حتى دُعي بملك تجار العطورات ، فقد بذل جهوده الجبارة في هذا المجال من بداية الخمسينيات للقرن الراحل القرن العشرين ، وبارك الله تعالى في جهوده المخلصة وتجارته الأمينة حتى استطاع أن يفتح أكثر من ألف ومأة متجر ومخزن في جهات العالم المتعددة ، فأكرمه الله تعالى بتجارة رابحة ، كان ينفق ريعها على الشئون الخيرية وتوسعة نطاق التعليم والتربية من العلوم الدينية إلى العلوم العصرية ، وكان يشرف على ثلاث كليات عصرية للمسلمين في مدينة ممبائي وحدها ، فكان يتولى جميع مصاريفها ، كما كان يساعد الجامعات الإسلامية في الهند على مستوى رفيع ، ويتناول أهل الحاجات من كل نوع بالإغاثة والعون المادي ، وكلما حدث حادث في أي مكان واستطاع أن يسهم في سد الخسارة التي سببها الحادث قام بذلك من غير تأخير .

أما خيراته وإغاثته الدائمة لشئون الخير والتعليم والتربية ودعم المشاريع الإسلامية والدعوية والإنشائية ، فكانت فوق القياس ، هذا في ظاهر الأمر ، ولكن عمله السري في الإنفاق المالي والأدبي فمما لا يعلمه إلا الله تعالى ، ورغم أنه أصيب بالفالج وظل طريح الفراش إلى مدة لم ينقص من خيره بل وأوصى بالزيادة فيه لأهله وأولاده النجباء ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: (لَنْ تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ) .

ومع ذلك كيف لا تكون تجارته رابحة وكيف لا يتسع نطاقها وينتشر خيرها ، ويشمل جميع طبقات الأمة ، ولا سيما شبه القارة الهندية وما جاورها من الدول ، وكل ذلك بدون أي نوع من العصبية المذهبية والسلوك القومي والسياسة المصلحية ، بل الواقع أنه كان مسلماً في معنى الكلمة ، وقد أدرك

خلال تلاوة القرآن الكريم في سورة القلم أن هناك طائفة من الناس سماهم الله تعالى في كتابه بأسوء اللقب ، فقال : (هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ . مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) فصان نفسه من مثل هذه الصفات المذمومة ، فكان يعيش في صفات محمودة تمثل الصدق والثقة والبر والخير ، وعطاء المال في وجوه الخير والاتقاء من كل اعتداء واثم ، وبذلك كان الراحل الكريم رجلاً صالحاً ، متدينا ورعاً ، وتاجراً أميناً ، يُسر عمله الخيري ويخفيه بحيث لا يعلمه إلا الله تعالى .

وكان يقوم بتشجيع العمل الخيري وتوسعة نطاق التعليم والتربية من غير استثناء أو تفرقة ، وإنني أعرف أنه كان لا يكتفي بالتبرعات الخيرية للمراكز التعليمية بل كان يمهد الطريق لأصحاب الحاجات لتوصيلهم إلى أصحاب الثراء والتزكية لهم عند أصحاب الخير ، رأيته ذات مرة استصحب أحد المسئولين عن المدارس الإسلامية في الهند وذهب به إلى أحد كبار التجار في دبي حيث لا يجرؤ كل شخص أن يفعل ذلك ويطلب من سعادة التاجر الكبير أن يساعده للمدرسة التي لا تعتمد إلا على تعاون أهل الخير والبر ، وقد فتح الله قلبه لدعم المدرسة ، وهو بنفسه لم يقصر أبداً في دعم الشئون الخيرية وتوسعة نطاقها .

وبعد حادث هدم المسجد البابري في عام ١٩٩٢م في القرن المنصرم كانت الأحوال متوترة في الهند ، وكان المسلمون بوجه خاص يشعرون بأن مستقبلهم ليس على ما يرام ، وهم بأمس حاجة إلى أن يصنعوا وحدة بينهم وبين المواطنين من غيرهم ، ويجددوا جو الثقة والأخوة فيما بين الناس على أساس الحب والإنسانية ، فرأوا أن ذلك مطلب قد لا يتحقق بدون تعميم الشعور بالتعليم ونشره على أوسع المستويات بين الشباب وأبناء البلاد ، ولا سيما التعليم العصري والديني والجمع بينهما باتزان .

ومن ثم دبَّ الشعور بالحاجة إلى إنشاء جامعات وكليات كبيرة على جميع المستويات في الولاية الشمالية في الهند بوجه خاص ، وقد تشاورنا في الموضوع الراحل الكريم الحاج عبدالرزاق في إحدى زياراتي لدولة الإمارات العربية المتحدة في بداية عام ١٩٩٣م ، وكان معي بعض المعنيين بالموضوع ، وفي مقدمتهم سعادة المهندس الأستاذ السيد وسيم أختر، وتحدثنا معه في موضوع إنشاء مراكز التعليم من كل نوع وحول قلة الوسائل في تحقيق هذا الهدف الغالي ، فوافق الحاج الرصاصي على ذلك وزودنا بالتشجيع ، ووعد بأنه سوف

لا يقصر في الإسهام من كل نوع، فكانت مسألة الأراضي والجهة التي تناسب لإقامة مركز تعليمي كبير قضية رئيسية تواجهنا ، إلا أننا مع هذه الموافقة على الموضوع بذلنا جهوداً كبيرةً في اختيار الأرض والجهة المناسبة وسألنا الله تعالى التيسير والتوفيق ، حتى تحقق ما أراده سبحانه وحصلت لنا أرض واسعة بثمن غال، وعلى ذلك شكرنا الله تعالى وأخبرنا بما تم في هذا الموضوع الشيخ الرصاصي رحمه الله تعالى ففرح كثيراً وشكر الله تعالى .

وملخص القول أننا أنشأنا كلية عصرية دينية على الأراضي التي حصلنا عليها ، وأخبرنا بذلك الحاج عبدالرزاق فعزم على أن يسافر من دبي إلى لكهنؤ لمجرد الاطلاع على المشروع ، وزيارة سماحة العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ومشاهدة نشاطات جامعة ندوة العلماء ، وذلك في عام ١٩٩٤م ، وقد شهد بنفسه مشروع الكلية وجامعة انتاغرل بعدها ، فاستبشر بذلك خيراً كبيراً وبذل اهتمامه الكبير على توسعة الكلية وتحويلها إلى الجامعة وإنشاء كليات الهندسة فيها بأنواعها ، وكلية الصيدلة ، وكلية العمل الاجتماعي ، وكلية الطب أخيراً ، وصارت للجامعة فروع من الكليات والمدارس العصرية في داخل البلد وخارجه ، وهي تجتاز الآن بمراحل التعليم والتربية بكل نجاح ويبلغ عدد طلابها أكثر من عشرة آلاف ، فضلاً عن طلاب كلية الطب والصيدلة . مديرها الأعلى البروفيسور السيد وسيم أختر .

هذا عدا ما كان الحاج الرصاصي يتبناه من المراكز التعليمية الكبرى في ممباي وما جاورها من المدن والبلدان ، وكان له شغف زائد بالإسهام المخلص في جميع الأمور الخيرية والبرامج التعليمية ، وذلك إن دل فإنما يدل على إخلاصه لله تعالى وشكره على النعم ، وحرصه على دعم المشاريع العلمية والإنشائية والاجتماعية .

كان رجلاً منقطع النظير في المجتمع المسلم الذي نعيش فيه ، وكانت علاقته بالدين الخالص وطيدة ، وكان لا يعمل إلا لله ، وفي الله، ولم يكن يعيش إلا مع الله تعالى ، وكان من عادته المستمرة الدائمة منذ شبابه أنه كان يسافر في ٢٧/ من شهر شعبان من كل عام إلى الحرمين الشريفين ويقضي شهر رمضان أيامه ولياليه فيهما معتمراً ومعتكفاً ، ومتصلاً بربه تبارك وتعالى ، ومع نهاية الشهر المبارك وصلاة العيد في الحرم الشريف كان يرجع إلى أهله وأولاده وتجارته .

ونحن إذ نعزي من كانت له به صلة أو كان يحبه في الله ، نعزي من صميم القلب نجله الأكبر الشيخ محمد سليم الرصاصي وخلف المرحوم وأمينه في جميع الأمور مما كان المرحوم ينجزه من أعمال الخير والبر والسلوكيات الرفيعة والدينية ، ونتضرع إلى الله تعالى أن يتقبل أعماله المخلصة .

هذه نبذة من حياة هذا الرجل المجهول لدى المجتمع العام ، تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفر له جميع زلاته وتقصيراته وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوة والدعاء لرفع درجاته عند الله تعالى.

(٢) الشيخ محمد رياض الدين الفاروقي إلى رحمة الله تعالى

تلقت أسرة ندوة العلماء نبأ وفاة فضيلة الشيخ محمد رياض الدين الفاروقي الندوي فجاءةً ، وأنه لبَّى نداء ربه ظهر يوم الأربعاء غرة ذي الحجة لعام ١٤٣٦هـ المصادف ١٦/ من شهر سبتمبر عام ٢٠١٥م ، وكان رئيس جامعة كاشف العلوم في بلدة أورنغ آباد في ولاية مهاراشتر ، والمشرف الأعلى لشئونها التعليمية والإدارية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد من أبناء جامعة ندوة العلماء والمتخرجين منها في الستينيات ، ومع تخرجه من دار العلوم عاد إلى أورنغ آباد ، حيث كانت المدرسة الابتدائية كاشف العلوم ، كان قد أنشأها والد زوجته الشيخ محمد سعيد ، واشتغل بتوسعة وترقية هذه المدرسة ، حتى بورك في جهوده، واستطاع أن يحصل على أرض واسعة ، لإنشاء البنايات الجديدة لهذه المدرسة ، التي أصبحت بعد ذلك جامعة إسلامية لتعليم العلوم الدينية حسب المناهج التعليمية لجامعة ندوة العلماء في هذه المنطقة ، بدءاً من الابتدائية إلى العالمية ، حيث إن طلاب السنة الأخيرة للعالمية يشتركون في برامج الامتحان السنوي بجامعة ندوة العلماء ، على مدار كل عام .

وفّقه الله تعالى للعمل في المجال التعليمي والتربوي وفي مجال الدعوة ونشر الإسلام في المجتمعات الجاهلية وبين شبابها ، كما أنه نجح في فتح عدد كبير من المدارس الابتدائية في المناطق المجاورة ، حتى بلغ عددها إلى مآت ، وكان يشرف عليها بنفسه ، وبمساعدة زملائه ، وهي لا تزال في اتساع وازدهار ، وكل ذلك نتيجة لإخلاص نواياه ، الذي تلقاه وورثه من أستاذه وشيخه سماحة العلامة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى .

كان قد أصيب منذ مدة بضعف الصحة وقلة النشاط ، ولكنه بالرغم من ذلك لم يقصّر في الاهتمام بنظام الجامعة وإدارتها ، واستمرت عنايته بجميع شئون الجامعة ، فطالما كان يسافر إلى أصحاب الخير طالباً دعم الجامعة في برامجها ومشاريعها ، كما كان يزور ندوة العلماء حيناً لآخر ، للاستشارة في شئون جامعته من سماحة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام ، وخلف سماحة الإمام الندوي ، كما كان عضواً للمجلسين الاستشاري والتنفيذي لندوة العلماء، فكان يحضر بمناسبة انعقادهما بكل شوق وشعور بالمسئولية .

وفي نفس يوم وفاته عقد المجلس الإداري برئاسة رئيس ندوة العلماء العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي جلسة تعزية بالمناسبة في جامع دار العلوم الكبير ، تحدث فيها سماحته حول الحادث قائلاً : إن فضيلة الشيخ رياض الدين الفاروقي كان نموذجاً للعمل الخالص والجهد الدائم ، وكان يهتم بتعميم برامج التعليم الإسلامي في المنطقة ، وأسس عدداً كبيراً من المدارس الابتدائية ، في المناطق المجاورة ، كما كان يشرف على جامعة كاشف العلوم التي كانت تعتبر فرعاً لجامعة ندوة العلماء في ولاية مهاراشتر ، وكانت علاقته بندوة العلماء مخلصة وطيدة، وكان في الواقع خريج مدرسة الإمام الندوي التربوية ، تعلّم منه أساليب الدعوة والفكر والتعليم والتربية ، وكان مواظباً في أعماله على ذلك الأساس ، الذي كان يجدده بزياراته لندوة العلماء ورئيسها العام سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، كما أن كاتب هذه السطور قد قام بإلقاء كلمة تعزية على هذا الحادث وأشاد بشخصية الفقيد ، الذي كان مثالاً للتواضع والعزم الراسخ ، والتضحية بالنفس والنفيس ، وقد أنجز خدمات جليلة في مجال التعليم والدعوة إلى الله تعالى، كما قد ألقى كلمة تعزية فضيلة الشيخ نذرالحفيظ الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها ، حول شخصية الشيخ رياض الدين الفاروقي ، وما كان يتميز به من الإخلاص والتذوق بالعبادة ، كانت علاقته وثيقة بالإمام الندوي رحمه الله وفضيلة الشيخ محمد معين الندوي نائب الرئيس لندوة العلماء .

ونحن إذ نتضرع إلى الله تبارك وتعالى وندعوه أن يتغمده بواسع رحمته ويغفر له زلاته ، وخطاياه ويسكنه فسيح جناته ، نتقدم بالتعازي إلى أهله

وأعضاء أسرته وأنجاله وأصدقائه وأصحابه ، نسأل الله تعالى أن يلهم الجميع الصبر والسلوة ، فاغفر لنا وارحمنا وأنت أرحم الراحمين .

(٣) الأستاذ طيب العثماني الندوي في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء الآتية من ولاية بهار أن فضيلة الأستاذ طيب العثماني الندوي انتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٤/ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٦هـ الموافق ٢٩/ من شهر سبتمبر ٢٠١٥م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ طيب العثماني الندوي من أبناء ندوة العلماء القدامى، ممن تخرجوا في بداية الخمسينيات للقرن المنصرم من ندوة العلماء ، وكان معروفاً بذكائه ودراساته وسعة معلوماته ، كما قد عُرف بميزة الأدب والتاريخ ، وكان أديباً في اللغة الأردوية ، يكتب مقالات ويستفيد من جمعية الإصلاح للطلاب ، حتى اختير مديراً لجمعية الإصلاح أيام دراسته ، واستفاد من مكتبتها في مجال أدب اللغة الأردية وتاريخها ، وبعد تخرجه من دارالعلوم عاد إلى وطنه بولاية بهار ، حيث اشتغل بشئون التعليم والتربية والأدب والشعر ، ولما صدرت من لكناؤ مجلة باللغة الأردوية على مستوى أدبي رفيع باسم " نئي نسلين " (الأجيال الجديدة) التمس مؤسسها الأستاذ محمد نسيم ، منه أن يأتي إلى لكناؤ، ويساعده في ترتيب وتحرير هذه المجلة ، فاستجاب طلبه ، وقام بإصدار المجلة إلى مدة طويلة .

كان الأستاذ طيب العثماني الندوي من أبناء ندوة العلماء البارزين، ممن أسهموا في المجال الأدبي والعلمي ، وقاموا بخدمات جليلة في مجال الصحافة الإسلامية ، وكان وثيق الصلة بندوة العلماء ، وكان يزورها أيام إقامته في لكناؤ .

رحمه الله رحمة واسعة ، وبرد مضجعه ، وأكرمه بالجنة والنعيم، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

(٤) الأمير نواف بن عبد العزيز آل سعود إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالأمير نواف بن عبد العزيز آل سعود المستشار الخاص لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود ، وذلك يوم الثلاثاء في ١٥ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٦هـ الموافق ٢٩/ من شهر سبتمبر لعام ٢٠١٥م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأمير نواف من أمراء المملكة العربية السعودية ، وقد قضى عمره في خدمة الحرمين الشريفين والمملكة العزيزة ، فالحمد لله على ذلك .

وقد صلي عليه بالمسجد الحرام بمكة المكرمة يوم الأربعاء ١٦ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٦هـ بعد صلاة العشاء ، ودفن بالرياض في مقابر المسلمين وبجوار قبور الأمراء رحمهم الله تعالى .

ونحن إذ نعزي خادم الحرمين الشريفين وأعضاء الأسرة المالكة ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ، وأمطر عليه شآبيب الرضوان والمغفرة ، وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته .

(٥) الأمير راشد بن الشيخ محمد راشد المكتوم في ذمة الله تعالى

نعت الأنباء الواردة من دولة الإمارات العربية المتحدة الأمير راشد ابن الشيخ محمد راشد المكتوم حاكم دبي ، وذلك في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠/ من شهر سبتمبر ٢٠١٥م يوم السبت ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم أكبر أنجال سمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم حاكم دبي ، وكان يساعد والده المعظم في شئون الدولة ، ولعله فوجئ بنوبة قلبية أدت إلى وفاته رحمه الله تعالى .

ولقد قامت إدارة ندوة العلماء بتوجيه التعازي الخالصة إلى صاحب السمو وأعضاء الأسرة وخاصة بعث رسالة تعزية إلى صاحب السمو سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام بواسطة سفارة دولة الإمارات في الهند .

تغمد الله تعالى الراحل الكريم بواسع رحمته وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته وألهم الجميع الصبر الجميل ، والله ولي التوفيق .

(٦) والد الشيخ محمد خالد الندوي (الغازيفوري) في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى والد الشيخ محمد خالد الندوي الغازيفوري أستاذ الحديث الشريف في جامعة ندوة العلماء يوم الاثنين ٢١/ من شهر سبتمبر ٢٠١٥م الموافق ٦/ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٦هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من الرجال المتدينين ، وكبير قرية ناراين فور بمديرية غازي فور بولاية أترابراديش الهند ، فكان أهل القرية يعظمونه

ويستشيرونه في كثير من شئون الحياة وفنون الزراعة التي تعتبر اليوم وريد الحياة الاجتماعية والحضارية ، وخاصة في بلاد الهند ، وكان يحب العلم والعلماء بوجه خاص ، فوجه أبناء وشباب القرية إلى التعليم ، وبنى مدرسة نموذجية في قريته ، ومن ثم علم أنجاله العلوم الإسلامية وأرسل نجله الكبير إلى ندوة العلماء حيث تخرج في العلوم الإسلامية وفي علم الحديث وبرع في كثير من أنواع العلوم والمعارف ، وهو الآن أستاذ الحديث في دارالعلوم لندوة العلماء ، لكهنؤ الهند ، كما أنه أنشأ مدارس للبنين والبنات ، وركز هو وأبناؤه على ترقية وتوسعتها .

توفي رحمه الله تعالى ، أثناء سفر حج فضيلة الشيخ محمد خالد الندوي للعام الحالي ، حفظه الله تعالى ، ونحن إذ نعزيه وجميع إخوته وأعضاء أسرته ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمد والدهم الجليل بواسع رحمته ، ويغفر له زلاته ويسكنه فسيح جناته ويلهم الجميع الصبر والسلوان .

(٧) والدة الشيخ محمد إلياس البتكلي الندوي إلى رحمة الله تعالى

غادرت والدة فضيلة الشيخ محمد إلياس البتكلي الندوي رئيس أكاديمية العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي ، في بلدة باتكل بولاية كرناتكا جنوبي الهند في ١٨ / من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٦هـ الموافق ٣/ من شهر سبتمبر لعام ٢٠١٥م بالغة من العمر ثمانين عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

حدثت وفاتها عقب سفرة دعوية قام بها نجلها الكبير فضيلة الشيخ محمد إلياس الندوي بساعات عديدة ، فأخبر بالحادث وهو في الطريق فلم يلبث أن قطع سفره ورجع القهقرى ، وحضر جميع شئون الغسل والتكفين وصلاة الجنازة والدفن ، وقد عزاه جميع من كانت له به صلة ، وحضر أهل البلد في الصلاة عليها بعدد كبير .

ونحن إذ نعزي فضيلة الشيخ محمد إلياس وجميع أعضاء أسرته ، ندعو الله سبحانه أن يتغمد الراحلة الكريمة بواسع رحمته ويغفر لها خطاياها وأسكنها جنة الفردوس وألهم الجميع الصبر الجميل ، والله غفور رحيم .

(٨) الدكتور محمد غياث الدين الندوي في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ الدكتور محمد غياث الدين الندوي

مؤسس مدرسة العلوم الإسلامية ورئيس مؤسسة الشيخ أبي الحسن علي الندوي التعليمية والإصلاحية في بلدة عليكراه يوم الثلاثاء ٢١/ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٦هـ الموافق ٦/من شهر أكتوبر ٢٠١٥م في وطنه بعليكراه ، وبعد ما أجريت عملية جراحية في الدماغ منذ مدة ، وظل يأخذ العلاج للعودة إلى حالة الصحة السليمة ، وكان يرجى أن الله تعالى سيكتب له البرء الكامل ، وفعلا عاد إلى حالة صحيحة جيدة ، إلا أن المرض عاد إليه مرة ثانية ، ورغم جميع المحاولات العلاجية في مستشفى دلهي الكبير لم يكتب له الشفاء ولبي نداء ربه وغادر إلى آخرته ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الدكتور محمد غياث من أبناء ندوة العلماء القدامى ، وقد نال التربية الدينية لدى سماحة العلامة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، فكان يحبه ويزوره حينا لآخر وفي خلال ذلك استشار سماحته تأسيس مدرسة العلوم الإسلامية في عليكراه ، فوافق على ذلك، فقام ببناء هذه المدرسة في بلدة هي معروفة بجامعة عليكراه الإسلامية ، وذلك لكي تكون معلمة تعليمية إسلامية بجوار الجامعة ، وكان هدفه بذلك إيجاد الجامعية العملية والعلمية وتمثيل الوسطية الدينية التي دعا إليها مؤسسو ندوة العلماء ، فكانت المدرسة على غرار مناهج وبرامج ندوة العلماء، وناجحة في الهدف الذي توخته ، فكان طلابها في المرحلة الأخيرة من الدراسة يأتون إلى جامعة ندوة العلماء ويؤدون الامتحان السنوي، ثم يلتحقون بمرحلة العالمية ويكملون دراستهم في دار العلوم لندوة العلماء .

كان يساعده في الشؤون التعليمية والإدارية نجله الكبير الدكتور محمد سعد ، والدكتور الأستاذ محمد طارق الندوي الأيوبي ، وكانت المدرسة قائمة بإنجاز برنامجها التعليمي تحت إشراف الدكتور محمد غياث الندوي وظلت قائمة بذلك والحمد لله أيام مرضه كذلك ، ولو لا أن بناءها قائم على أساس من الإخلاص وصلاح النية ، لكانت قد أصيبت بضعف أو خلل في شئونها ، إلا أنها لا تزال قائمة بنفس الروح والقوة في إنجاز مشروعها التعليمي والإنشائي ، ونرجو لها الدوام والاستمرارية بمشيئة الله تعالى .

إننا نعزي أبناء وأنصار الفقيد وجميع العاملين معه ، وندعو الله سبحانه أن يغطيه برحمته ويغفرله زلاته ويجزيه بأحسن ما يجزي به عباده المخلصين ، ويسكنه فسيح جناته ويلهم أهله وأنجاله وذويه والجميع الصبر الجميل .

(٩) فضيلة الشيخ عبد السميع الندوي الجعفري إلى رحمة الله تعالى

توفي فضيلة الشيخ عبد السميع الندوي الجعفري إلى رحمة الله تعالى أمير الإمارة السلفية لجماعة أهل الحديث في ولاية بهار الهند بعد معاناة طويلة من المرض ، وأخيراً كان يُعالج في مستشفى عاصمة الولاية ببلدة " بتنه " لأكثر من أسبوعين ، وقد لبى نداء ربه في ليلة الخامس من شهر أكتوبر ٢٠١٥/ الموافق ٢٠/من شهر ذي الحجة العام ١٤٣٦هـ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ عبد السميع من أسرة علماء صادَق فور الذين أسهموا في الجهاد ضد الإنجليز مع الإمام السيد أحمد الشهيد رحمه الله تعالى الذي استشهد في معركة بالاكوت بأفغانستان في القرن الثالث عشر الهجري ، وقد درس الشيخ الجعفري في جامعة ندوة العلماء في عام واحد وستين من القرن المنصرم الميلادي وبعد ما تخرج منها سافر إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حيث أكمل مراحل التعليم في الحديث ، وكان مدرساً لمدة قليلة في مدرسة إصلاح المسلمين في بلدة بتنة بولاية بهار ، وأخيراً كان يشغل منصب أمير جماعة أهل الحديث في ولاية بهار ، وكان عضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء فكان يداوم في جلساته السنوية .

لقد كان الفقيد عالماً كبيراً في غاية من التواضع ، ونموذجاً في الأخلاق الحسنة ، ومحبباً لدى جميع الطبقات من العامة والخاصة ممن كانوا يتناولونه بالاحترام والتكريم .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأغدق عليه الرحمة والمغفرة ، وغفر له زلاته وأكرمه في جنات ونعيم ، وألهم أهله وذويه وجميع المسلمين الصبر والسلوة (والله ولي المتقين) .

(١٠) والدة فضيلة الشيخ أصغر علي إمام مهدي السلفي إلى رحمة الله تعالى

انتقلت إلى رحمة الله تعالى ، والدة فضيلة الشيخ أصغر علي إمام مهدي السلفي الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية في ٨/ من شهر ستمبر لعام ٢٠١٥/ الموافق ١٣/ من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٦هـ بالغة من العمر ٧٥ عاما ، وذلك في قرية (برندابن) بمديرية شمبارن الشرقية بولاية بهار الهند ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة من السيدات المؤمنات المتدينات عاشت حياة الصلاح والورع متمسكة بتعاليم الدين ، وقد أحسنت تربية نجلها العزيز وأشرفت على تعليمه الديني ، فأكرمها الله تعالى بولد صالح وعالم جليل ، ومخلص متواضع ، ألا وهو فضيلة الشيخ أصغر علي إمام مهدي الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية ، الذي نعزيه في والدته بأحسن التعازي ، تغمدها الله تعالى بواسع رحمته وغفر لها زلاتها وخطاياها وأسكنها في جنات ونعيم وألهم أبناءها وجميع أعضاء أسرتها وذويها الصبر الجميل .

(١١) فضيلة الشيخ عبد الرحيم البستوي في ذمة الله تعالى

غادر فضيلة الشيخ عبد الرحيم البستوي إلى رحمة الله تعالى في ٢٤/ من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٦هـ ، الموافق ٩/ ستمبر ٢٠١٥م بالغا من العمر ٨٠ عاماً ، بعد مرض مفاجئ في بلدة ديوبند حيث كان أستاذاً في الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند ، منذ أكثر من ٣٥/ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان فضيلة الشيخ عبد الرحيم من العلماء الكبار يقوم بوظيفة التعليم والتربية بغاية من الإخلاص والشعور بالمسئولة ، فاستفاد منه طلاب الجامعة في كثير من أنواع العلوم والفنون ، وكانت علاقته بالعالم الجليل فضيلة الشيخ عبد الله المغيثي رئيس الجامعة الإسلامية بأجراره بمديرية ميرت ، فطالما كان يزوره في أيام الإجازات ، كما أن علاقته برجال ندوة العلماء كانت وطيدة مخلصة ، وخاصة بسماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء .

تغمده الله بواسع رحمته ، وتقبل خدماته العلمية والدينية ، وغفر له زلاته وخطاياه ، وأكرم نزله في جنات الفردوس ، وألهم أهله وذويه الصبر ، والله ولي التوفيق للدعاء الخالص له .

(١٢) الحاج مشتاق أحمد الرائ بريلوي في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الحاج مشتاق أحمد الرائ بريلوي في وطنه ببلدة رائ بريلي بولاية أترابرديش (الهند) في ٣/ أكتوبر ٢٠١٥م الموافق ١٨/ من شهر ذي الحجة ١٤٣٦هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم شقيق الأستاذ نياز أحمد ، الصغير ، الذي كان من المحبين والمعجبين بسماحة الإمام الندوي والشيخ السيد محمد الرابع

الحسني الندوي الذي دعا له بالتوفيق والبركات ، فأنجز خدمات مخلصة في وظائفه التي كان يمارسها في المناصب الحكومية .

أما الراحل الكريم الحاج مشتاق أحمد فكان أحد الموظفين في قصر رئيس الجمهورية في الهند ، ومن هنالك نال الإحالة إلى المعاش ، فكان مخلصاً في علاقاته مع الناس والجماهير العامة .

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له زلاته وخطاياه ، وأسكنه في فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

(١٣) حرم الشيخ امتياز أحمد الندوي في ذمة الله تعالى

فوجئت أسرة الشيخ امتياز أحمد الندوي بوفاة زوجته العزيزة وحرمه يوم الأحد ١٩/ من شهر ذي الحجة ١٤٣٦هـ الموافق ٤/ من شهر ستمبر ٢٠١٥م، وذلك بعد صلاة المغرب من غير مرض سابق ، وذلك في وطنها فرصت غنج بمديرية رائ بريلي بولاية أترابراديش الهند ، بالغة من العمر ٦٢/ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأخ الشيخ امتياز أحمد الندوي سكرتير جمعية الشيخ محمد الثاني التعليمية والإصلاحية في بلدة راي بريلي ، ونحن إذ نعزيه في حرمه ونعزي جميع أعضاء أسرته من الأولاد والبنات والشيوخ والشباب ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الراحلة العزيزة برداء رحمته ويغفر لها زلاتها ويجعل الجنة مثواها ويلهم الجميع الصبر على الرزية ، والاستبشار بوعده القائل (وبشر الصابرين) .

(١٤) والدة الدكتور سليم الرحمن الندوي إلى رحمة الله تعالى

فوجئنا بنبأ وفاة والدة الدكتور سليم الرحمن الندوي البوفالي ثم الياباني يوم الأحد٢٧/ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٦هـ الموافق ١١/ من شهر أكتوبر لعام ٢٠١٥م في مقرها بمدينة بوفال الهند ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة حرم فضيلة الشيخ محمد سلمان خان الندوي رحمه الله ، وقد رزقت والحمد لله عشرة من أولادها الذكور وثلاث بنيات ، وكلهم من أصحاب العلم والدين ومن أبناء ندوة العلماء ممن كانت لهم صلة وثيقة برجالات ندوة العلماء ، وكانوا أبناء شقيق فضيلة الشيخ الجليل والعالم الكبير محمد عمران خان الندوي الأزهري رحمه الله تعالى مدير دارالعلوم

لندوة العلماء الأسبق ، كما أن والدهم الشيخ محمد سلمان خان الندوي كان من الرجال الصالحين المخلصين ، وقد قام بخدمة دارالعلوم تاج المساجد في بوفال إلى مدة طويلة ، فكان يعمل ليل نهار لإنجاز مسئوليته وتوسعة نطاق تاج المساجد بغاية من الإخلاص ودافع التفاني ، وقد تقبل الله تعالى خدماته فلبى نداء ربه أثناء أداء مسئوليته ، وخلف وراءه أسرته الحافلة بالأولاد والأحفاد .

ومن بينهم الأستاذ كليم الرحمن خان الندوي ، وعبيد الرحمن خان الندوي ، وخليل الرحمن خان الندوي ، وهم أشقاء عشرة وكلهم من العلماء الأفاضل ، كما أن أبناءهم درسوا في جامعة ندوة العلماء ، ولا يزالون سلسلة من العلم والدين ، والدعوة إلى الله تعالى .

تغمد الله تعالى والدتهم العزيزة بواسع رحمته وغفر لها زلاتها وأكرم نزلها في جنات النعيم ، وألهم الجميع الصبر الجميل .

(١٥) فضيلة الشيخ شوكت علي إمام الجامع الكبير في ممبائي في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء آخر يوم الأحد بخبر وفاة فضيلة الشيخ العالم الجليل شوكت علي إمام المسجد الجامع في ممبائي ومن تلاميذ شيخ الإسلام العلامة حسين أحمد المدني وعلماء دارالعلوم ديوبند ، والمشرف الأعلى للجامعة الحسينية العربية شري وردهن الهند ، وكان خلفاً لفضيلة الشيخ المفتي محمود حسن الفنفوهي وافته المنية يوم الأحد ١٩/ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٦هـ الموافق ٤/ من شهر أكتوبر ٢٠١٥م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد شيخ منطقة كوكن بالجنوب ومن كبار علماء الشافعية، ولقد وفقه الله تعالى للعمل في مجال التعليم والتربية والدعوة إلى الله تعالى طول حياته ، وكان موفقاً في ذلك حتى أحبه الناس والتفوا حوله لتعلم الدين والعلم .

كان من أعضاء المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، فكان يحب علماء ندوة العلماء ، فكلما كان أهلها يزورون ممبائي يأتيهم وخاصة كان يحب سماحة العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، ويستفيد منه في مجال العلم والدعوة والفكر الإسلامي .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له زلاته وتقصيراته وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .